420

HARLEQUIN

روايات أحلام

الوجه الآخر للحب

روبين دونالد

www.elromancia.com
مرموية

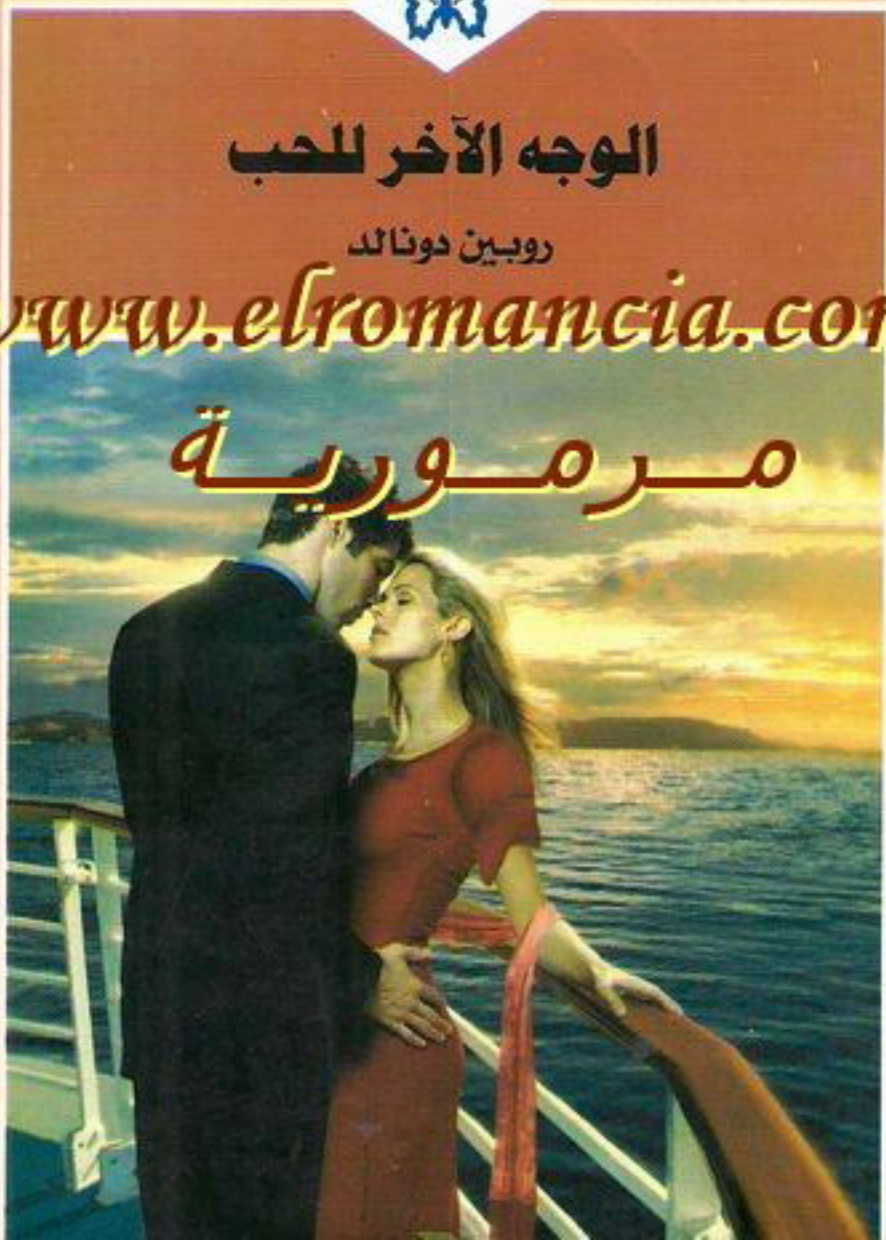

الوجه الآخر للحب

لطالما شعرت بايج هاورد بانجذاب خفي نحو المليونير النيوزيلاندي مارك كوربيت . وذلك منذ لقائهما الأول يوم تزوج مارك بصديقتها الحميمة .
بعد مرور ست سنوات . بقيت مشاعر بايج على حالها ... ولم يتحرك قلبها تجاه أي شخص آخر . وعندما عاد مارك لينفذ وصية زوجته المتوفاة . التقيا مجدداً ووقعا مرة أخرى في فخ ذلك الانجذاب القوي المتبادل بينهما .
لكن بايج كانت تعرف أن مارك هو من تسبب بوفاة زوجته . أعز صديقاتها ... فهل ستلاقي نفس المصير !

لبنان	2500ل.ل	البحرين	1دينار
سوريا	75ل.س.	السعودية	10ريال
الأردن	1.5دينار	مصر	8جنيه
الكويت	750فلس	المغرب	15درهم
الإمارات	10دراهم	تونس	2دينار
قطر	10ريال	عمان	1ريال

ISBN 978-9953-15-388-9

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Books S.A

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A

العلامة التجارية Harlequin وشعار Joey هما ملك شركة Harlequin Books S.A
وهما مستعملان هنا بترخيص منها

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
the Millionaire's virgin mistress
First published in Great Britain 2003
Harlequin Mills & Boon Limited
© Robyn Donald 2003
Translation © Dar El-Farasha - 2008
ISBN 978 - 9953 - 15 - 388 - 9

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

روبين دونالد

تعيش «روبين» حتى الآن في «نورثلاند» في «نيوزلند».

أقامت أولاً في مزرعة والدها المنتجة للأجبان والألبان، ثم انتقلت إلى «باي أوف أيلندز» وهي منطقة ذات جمال طبيعي أخاذ، حيث تعيش هناك مع زوجها وكلبها. استقالت من مهنة التدريس حين اكتشفت أنها تفضّل عليها كتابة الروايات. والآن حين لا تكتب «روبين» فهي تقرأ أو نعتني بحديقتها أو تسافر أو تكتب الرسائل لولديها الراشدين وأصدقائها.

١- أين والده؟

- مارك! هل تعتقد أنها واحدة من راقصات النادي، أم...؟

توقفت المرأة قليلاً عن إتمام جملتها. تبع ذلك ضحكة صغيرة ثم تابعت تقول: «... أم أنهم يستعرضونها كمثال سيّئ عما قد يحدث إن لم تكن حذراً؟».

لذعت الحرارة المرتفعة بشرة بايج هوارد، رغم أنها برّأت المتحدثة من الفظاظة. لم تعلم تلك المرأة أنّ تعليقاً كهذا قد ينتقل بهذا الوضوح عبر ردهة الفندق القديم نحو الدرج.

بدت الملصقات الإعلانية عن عروض الرقص والتدليك واضحة جداً، بحيث لا يمكن لأحد تفويتها وعدم الانتباه لها، لذلك بدا خطأ المرأة مبرراً لافتراضها أن بايج هي إحدى هؤلاء النساء اللواتي يعرضن خدماتهن مقابل المال.

لم تخبرها بايج أنها لم ترَ في حياتها نادياً للرقص! لديها أمور أكثر أهميّة لتقلق بشأنها بدلاً من الشعور بالإذلال المؤقت. عبست وحدّقت بالطفل الملقى فوق ذراعها، وهي تشعر بالقلق بسبب وجهه المتوهج باللون الأحمر.

تلك المرأة ومارك الذي يرافقها هما على الأرجح سائحان متجهان نحو مجموعة مباني نابير التي تم بناؤها بعد هزّة أرضيّة مدمّرة منذ سبعين عاماً. المدينة الصغيرة التي تمتد على طول خليج نيوزيلاندا أصبحت الآن مقصداً للسياح الذين يستمتعون بفن العمارة والطعام الشهي في المنطقة.

علمت بايج أنها لن ترى هذين الشخصين مرّة أخرى، وهي لا تبالي

www.elromancia.com

إطلاقاً بما يفكران به حتى لو ظنّا أنها تساوي فقط خمسة دولارات. رغم أنّ الدولارات الخمسة قد تأتي في وقتها الآن، كما فكّرت مكشّرة. منذ أسابيع قليلة كسبت مبالغ لا بأس بها، لكن مدخراتها تكاد تختفي الآن.

حين وصلت حرارة الطفل برودي إلى درجة مقلقة جداً، أصبح عليها أن تكسر قواعد النادي وتتكلم مع والدته التي تعمل هناك. وضعت شيري المال من أجل الطبيب في يد بايج، وعادت لترقص والدموع تملأ عينيها.

قطبت بايج حاجبيها وهي تسوّي الوشاح حول وجه برودي الحار، فيما أخذ الخوف يعشعش في ضلوعها. بقع كامدة اللون أخذت تظهر حول عينيه، وراح يلهث من بين شفتين شاحبتين جافتين. كان الطفل بحالة ممتازة منذ ساعة فقط، فما الذي جعل حالته تتدهور بهذا الشكل السريع؟

ارتجف الطفل في تلك اللحظة بين ذراعيها ووجهه يظهر مدى ألمه، لكنه لم يصدر أي صوت. حثت بايج الخطى أكثر وهي تنزل الدرج، فيما راحت تتحدث إليه بصوت خفيف ولطيف.

- لا بأس عزيزي... لا بأس أيها البطل الصغير... نحن في طريقنا إلى الطبيب، ستشعر بحالٍ أفضل قريباً.

ما إن وصلت إلى آخر الدرج حتى التفت شخصان نحوها بعد إبداء إعجابهما بقاعة الاستقبال. من دون قصد نظرت بايج نحوهما، فاصطدمت نظراتها المذهولة بعينين زرقاوين داكنتين ووجه أرستقراطي متعجرف. عينان أخذتا تلتمعان من بعيد عبر المسافة الموجودة بينهما.

فكّرت بتعب: إذاً، إنه مارك! مارك كوربيت.

- بايج!

سبب لها الذعر تقلصاً في معدتها، حتى إنها لم تر الدرجة الأخيرة فهوت إلى الأمام. لفّت ذراعيها حول الطفل جيداً كي لا يرتطم بالأرض الرخامية، وسرعان ما امتدت يدان قويتان كي تمسكا بها من خصرها

تمنعانها من السقوط. بقي الجسد القوي يساندها إلى أن تمكنت من القول: «أنا بخير!»

قطع عويل برودي المرتفع إجابة مارك كوربيت، لكنها تمكنت من سماع صوته العميق يخرج من صدره للحظة... للحظة قصيرة، تذكرت الشعور بهاتين الذراعين فيما الموسيقى تدمدم حولهما وهما يرقصان معاً...

تركها من بين يديه، وسألها بقسوة: «ما الذي تفعلينه هنا، بحق السماء؟».

أخذ برودي يبكي ويشهق، فيما راح جسده يرتجف من جديد، وقد بدأت ذراعاه وساقاه تتحرك كأنها تضرب بالسوط. ارتفع صوت مارك كالطاحونة وهو يسأل: «ما بال هذا الطفل؟».

سيطر الرعب على بايج حين التفتت نحو برودي فرأت عينيه مغمضتين وقد غدا لون شفتيه أرجوانياً داكناً.

- آه، يا إلهي! إنه مريض جداً.

همست بذلك وهي تلمس جبهته، فألهبت البشرة الناعمة يدها. اشتد ذعرها، فشدت ذراعيها حوله أكثر، ومشت بسرعة نحو الباب.

قالت المرأة التي ترافق مارك باهتمام: «أعتقد أنه يعاني من تشنّج قوي».

أمسك مارك بايج من ذراعها متجاهلاً مقاومتها له قائلاً وهو يلحق بها في الشارع: «أين يمكننا أن نجد أقرب طبيب؟ ادخلي إلى سيارتي».

أشار إلى سيارة بي أم دابليو متوقفة على بعد أمتارٍ قليلة من الرصيف، وهي تبدو متألقة تماماً كالمباني المحيطة بها. صعدت بايج إلى المقعد المجاور للسائق، ووجهت نظراتها نحو مارك، وبالكاد لاحظت وجود المرأة التي صعدت في الخلف.

حدّق إليها مارك من فوق كتفه قبل أن يقود السيارة نحو زحمة السير

الخانقة. أخذ قلب بايج يضرب كالمدقة، وشعرت أنّ جسد برودي الصغير بدأ يستكين.

آه، يا إلهي! فكّرت وهي ترتعش، أرجوك لا! أرجوك لا! تنهدت بارتياح حين رأت رموشه ترف، وبعد ثوانٍ عادت شفتاه إلى لونهما الطبيعي. رمش بعينيه مرتين قبل أن يبدأ بالعويل من جديد. قالت بصوت غير مألوف حتى بالنسبة لها: «يبدو بحالٍ أفضل».

لم يحد مارك كوربيت نظره عن الطريق، لكنه سألها: «كيف يبدو تنفسه؟»

قالت بتردد: «عادي».

بالفعل بدا برودي كأنه قد استسلم لنوم هادئ وطبيعي مطمئن.

- ولونه؟

- طبيعي أيضاً.

اختلست بايج نظرات جانبية إلى الرجل... شعرت بألم في حنجرتها فأدارت وجهها إلى الأمام بسرعة. هذا ليس عادلاً! فكرت بحدّة... ليس من العدل أن يظهر مارك من جديد في الفترة التي بدت حياتها فيه مليئة بالفوضى والمشاكل.

إنها تعرف ذلك الوجه الوسيم والفك القوي والوجنتين المرتفعتين. لم تتمكن السنوات الست الماضية من محو اللمعان القوي في عينيه الزرقاوين اللتين تلتمعان باللون الأزرق الناري كالياقوت.

كم مرّة وقع نظرها على رجل طويل ذي بشرة سمراء، يحرك فيها الحماس والعاطفة؟

مرات عديدة لا تحصى... لكن حتى الآن لم يكن أي منهم الرجل التي تبحث عنه، لأن ذلك الرجل تزوج من صديقة طفولتها جوليت منذ ست سنوات. ومنذ سنتين ماتت جوليت ميتة مأساوية، في حادث سير. تقلصت حنجرة بايج حين تذكرت الفتاة الساحرة التي كانت بمثابة أخت كبيرة لها.

انحنت المرأة التي تجلس في المقعد الخلفي إلى الأمام وهي تقول: «يا للصبي المسكين! ما هي مشكلته؟ هل تعرفين؟».

بدت قلقة عليه فعلاً، حتى إن بايج سامحتها على تعليقها المؤذي الذي تفوهت به من قبل. ردّت بهدوء: «حرارته مرتفعة، وربما يعاني من الجدري».

توقعت أن يطلب منها أن تعيد شرح اتجاه سيرهم نحو عيادة الطبيب، لكن مارك لم يحتج لذلك، فذهنه دائماً صافٍ. حين اقتربوا من المبنى قالت بغباء: «بإمكانك أن تركن السيارة هنا... إلى اليسار».

- أعرف ذلك فأنا من نيوزيلندا.

اللكنة الساحرة الأجنبية التي لوّنت كلامه أظهرت تأثير لهجة والدته الفرنسية.

من دون أن تفكّر، أدارت بايج وجهها نحوه، فالتفتت نحوها عينان زرقاوان قبل أن تعودا سريعاً لتنظرا إلى الطريق.

تشنجت أعصاب بايج، فابتلعت ريقها بصعوبة. مقابلة مارك من جديد صدفة لا معنى لها. لا بأس... فهو سيتزلها هنا، ثم يختفي من حياتها. وهذا بالضبط ما أرادته!

توقفت السيارة الفخمة بجانب الطريق عند الزاوية. تفحصت بايج وجه برودي بقلق، ثمّ تساءلت إن كان مارك مضطراً للبحث عن موقف للسيارة كبقية الناس العاديين. على الأرجح لا! فالإصرار والقساوة بالإضافة إلى الكاريزما العالية تزيل العوائق أمامه كالسحر تماماً.

- شكراً جزيلاً!

قالت ذلك بجد، وأرخت حزام الأمان كي تفتح الباب.

- انتظري هنا!

بينما مشى مارك حول السيارة فتحت بايج الباب، فأتى صوت المرأة من الخلف لطيفاً لكنه يحمل نبرة تحذير: «من الأفضل أن تفعلي ما يقوله. إنه رجل مسيطر جداً».

قالت المرأة كلمة مسيطر بشكل عادي، إلا أن بايج شعرت بالانزعاج. إن كانت هذه لورين بورتر، فمن الواضح إذاً أنها لا تزال تشكل جزءً مهماً في حياته.

لِمَ لا؟ الرجل الذي يحتفظ بعشيقته طوال أربع سنوات من الزواج، لن يسمح لوفاة زوجته بأن تقطع هذه العلاقة.

حين فتح الباب حاولت بايج الخروج، لكن قلقها وحدتها جعلاها غير قادرة على التحرك. بعد لحظة أمسك مارك بها وبرودي، وساعدهما على الخروج من السّيارة بعنف دمّر الحزن الهادئ الذي تشعر به.

حين تأكّد أنها أصبحت تقف بتوازن على قدميها، أنزل يديه عنها وقال: «هل أنت بخير؟».

بدا صوته بارداً وصلباً كالحديد، ما ملأ كيانها بمزيج شيطاني من اللهفة والخوف، إلاّ أنّ الأقوى من هذين الشعورين هو شعورها بالارتياح، كأنها كانت تائهة ووجدت نفسها أخيراً. احتضنت بايج الطفل جيداً، وخطت خطوة إلى الخلف، ثمّ قالت بنبرة تخلو من أي تعبير: «شكراً لك».

ثم ركضت نحو المبنى الذي يضم العيادات.

بينما أخذت المرأة التي تجلس خلف المكتب معلومات حول برودي من جهاز الكمبيوتر أمامها، نظرت بايج نحو المرأة التي ترافق مارك. بدت نحيفة، وترتدي ثياباً من تصاميم راقية. لابد أنها لمصمم عالمي. جلست المرأة بهدوء في المقعد الأمامي للسيارة بشكل يلفت النظر إلى ساقيها الطويلتين الجميلتين. حالما أغلقت الباب تابعت السيارة طريقها نحو زحمة السير من جديد، وسرعان ما اختفت خلف المنعطف.

لا شك أن مارك شعر بالسعادة للتخلص منها، تماماً كما شعرت هي بالسعادة لرؤيته يذهب.

جلست فوق كرسي غير مريح وهي تنظر نحو برودي الذي استيقظ تماماً. رفيقة مارك بدت مطابقة تماماً لما وصفته لها جولييت سابقاً؛ طويلة

لتناسب طوله الذي يبلغ الست أقدام ثلاث بوصات، حتى لون بشرتيهما هو نفسه، أما شعرها الأسود فقد صفف بشكل مناسب تماماً لشكل وجهها، حتى لهجتها بدت مشابهة للهجته.

- إنها إنكليزية وذكية... فهي مسؤولة تنفيذية في مؤسسة مارك، ويقول مارك إنها عبقرية.

أخبرتها جولييت بذلك، ولم تتمكن التكنولوجيا الحديثة من إخفاء المرارة التي ظهرت في صوتها وهي تقول ذلك لبايج، على الرغم من الإثني عشر ألف ميلٍ التي تفصلهما عن بعضهما. يومها تابعت تقول: «على الأقل هو لا يهينني باختيار سيّئ لعشيقته، فهي جميلة وترتدي الثياب الأنيقة كامرأة فرنسيّة».

يومها سألتها: «لا بد أنك مخطئة! هل اعترف لك بذلك».

بدت جولييت مصدومة وهي تقول: «آه، لا! أنا لن أسأله عن ذلك... لا حاجة لأن أفعل. لقد رأيتهما معاً وهذا يكفي. إنهما يحاولان أن يبدوا منفصلين، لكن الارتباط بينهما واضح».

- ماذا تقصدين؟ إنهما بالتأكيد... لا...

تنهدت جولييت وقالت: «لا يمكنني وصف الرابط بينهما، إلاّ أنني أعلم أنه موجود كسلسلة خفية تجمعهما معاً».

فكّرت بايج بانزعاج: يجب ألاّ أفكّر بذلك الآن! هزت الطفل المريض، وهي تحاول التركيز فقط على إيصال برودي إلى الطبيب، والتفكير بطريقة للاحتفاظ بمدخراتها حتى تجد وظيفة جديدة.

بعد نصف ساعة، مشت تحت أشعة شمس الشتاء الساطعة، فسمعت صوتاً عميقاً يلفظ اسمها. لم تتفاجأ رغم أنّ قلبها تصلّب ككتلة قاسية في صدرها. علمت أنه سيكون بانتظارها خارجاً.

سألها بصوت حادٍ ومزعج: «هل وافق الطبيب على تشخيصك بأنّه يعاني من الجدري؟».

وضعت وصفة الطبيب في جيب بنطلونها الجينز، بينما سعل برودي

تحت الوشاح. رغم أنّ الشمس الساطعة كانت تشرق فوق المدينة إلاّ أن الهواء القوي القادم من البحر كان ينبئ بليلة باردة.

كان مارك بمفرده... أدركت بايج ذلك بارتياح. ردّت عليه بصوت بارد كالهواء، فقالت: «نعم، أكّدت لي الطبيبة ذلك. أنا آسفة، لا وقت لدي للكلام، علي أن اشتري له الدواء، ثمّ أعود إلى المنزل».

وقف مارك بجانبها وهو يقول: «سأوصلك إلى هناك»

إلى شقة صغيرة كالمغارة في زقاق ضيق خلف مطعم همبرغر؟! أبداً! قالت بسرعة: «لا بأس، فالمكان ليس بعيداً».

- لا! لن أتركك وحدك، فالطفل مريض.

- الطبيبة بدت أكيدة أنها المرحلة الأولى من الجدري، وهو ليس مرضاً خطيراً.

صمتت قليلاً، ثم قالت بمكر: «أتمنى أن تكون قد أصبت بهذا المرض من قبل، فهو معدٍ».

- أعتقد أنني أصبت بجميع أمراض الطفولة.

لم يعكس وجهه الوسيم أي انفعال، وسألها: «ماذا عنك؟»

قالت بصوت كالحجر: «أصبت أنا وجولييت به معاً. في الواقع، أظن أنني نقلت لها العدوى».

التفتت بايج بنظرة سريعة نحو تقاسيم ذلك الوجه الوسيم المتناسق. لم يظهر عليه أي تأثر أو حزنٍ حين ذكر اسم زوجته المتوفية.

أبعدت نظرها عنه، لكن الأوان كان قد فات. لقد رآها تتفحصه، فأثار ذلك التماعاً غريباً في عمق عينيه، إلاّ أن صوته بقي تحت السيطرة إذ قال بثقة كبيرة: «في مطلق الأحوال، سآخذك إلى المنزل. أعطيني وصفة الطبيبة وانتظريني في السيارة مع الطفل».

لا شك أن عقله الراجح أخذ يحلّل حركتها غير الإرادية، ويضعها في الملف الخاص بها في فكره. لم يقم مارك كوربيت بزيادة ثروة العائلة بشكل مذهل وهو لا يزال في الثانية والثلاثين من دون ذكاءٍ تحليلي مزودٍ

بالتصميم والمثابرة. وهو يعرف النساء جيداً!.

قنّعت بايج أعصابها المتوترة بوجه جليدي، ثم قالت: «شكراً لك. لكن لا داعي لأن تتعب نفسك».

التفتت نحو باب الصيدلية ومشت نحوه وهي تشعر بمارك يلحق بها بعزم وهدوء كالحيوان المفترس. ذكرت بايج نفسها أنه مفترس بالفعل.

بدأ برودي يبكي مجدداً وهو يحرّك وجهه من دون توقف خلف الوشاح. قالت له بايج وهي تفتش في بنطلونها الجينز بصوت ناعم يشبه التمتمة: «هيا... عزيزي! لا بأس... ستصبح بحال أفضل حالما نحضر لك ذلك الدواء من الداخل».

قال لها مارك بنبرة آمرة: «أعطيني الطفل!».

جعلتها الصدمة ترفع رأسها. نظرت مباشرة نحو وجهه الذي تغيرت معالمه لتظهر نفاد صبره. قالت له باستهتار: «إنّه لا يحب الغرباء».

رفع حاجبه الأسود، ثم قال: «إذاً، أعطيني وصفة الطبيب».

- بإمكاني تدبر الأمر بمفردي.

لكن برودي اختار تلك اللحظة بالذات ليئن من جديد. لحسن الحظ لم يتحول ذلك إلى نوبة تشنج أخرى، بل جاء أنينه مقدّمة لصرخة عالية. رمقها مارك بنظرات ممزوجة بالاهتمام والانزعاج معاً. وقبل أن تتمكن من الاعتراض مدّ أصابعه إلى جيب بنطلونها وأخرج ورقة صغيرة.

أمرها من جديد قائلاً: «انتظري هنا».

ثم مشى نحو الصيدلية، وهناك بالتأكيد حظي باهتمام سريع. بدأ جسد بايج يرتجف بسبب لمسته غير المتوقعة. لاحقته بنظراتها، بينما أخذت تهز الطفل وتحاول تهدئته بكلام لا معنى له. حضور مارك الأخاذ قد يكون جزءً من أسباب وسامته، كذلك عرض كتفيه وتناسق جسده الرياضي، لكن أهم أسبابه هي قوة سلطته التي لا تقاوم. انقلبت المشاعر داخل بايج لتصبح حارة، متناقضة، ومحرمة أيضاً.

شعرت كأنّ السنوات الست الماضية كانت مجرد كابوس، وقد

www.elromancia.com

استيقظت منه الآن. قالت لنفسها: «لا تكوني سخيفة! إنه كوالده بالضبط، لا يعني له الارتباط الزوجي شيئاً».

وضع الطفل يده في فمه وشرع بامتصاصها، وحين أدرك أنه لا يستطيع الحصول على طعامه بهذا الشكل، ملأ صراخه اليائس الجو من جديد، بينما عاد مارك مع الدواء المطلوب.

- دعينا نذهب قبل أن يأكل يده.

قال ذلك واضعاً يده فوق مرفقها، وهو يستعجلها لتتحرك عبر الممر.

لسبب ما قرر مارك أن يأخذها إلى المنزل. سيشدّ بقوة أكبر بيده على مرفقها إن حاولت الهرب. رغم أنها تكره الخضوع، لكن ذل لم يعد يعني لها شيئاً أمام حاجتها إلى الدواء والطعام من أجل برودي. من جهة أخرى، عليها الاتصال بشيري، والدته، أيضاً حالما تستطيع كي تطمئنها أن برودي مصاب بالجدري فقط.

عندما عادت إلى السيارة حيث رائحة عطر المرأة التي كانت برفقته لا يزال يملأ المكان، أعطته عنوان المنزل. بدت رائحة العطر عصرية وجذابة، تعبق برائحة المال والرفاهية.

رفعت بايج كتفيها وحدّقت من النافذة. رأت الشارع اليوم من خلال عينين رائعتين... هما عينا الرجل الذي اعتاد على كل ما هو كامل ورائع. في الخارج بدت لها المحلات الصغيرة والمنازل كأنها أزهار مشعة جميلة. قالت لمارك والمرارة المحبطة تكاد تعقد لسانها: «الرقم ثلاثة وعشرون».

أدار مارك المقود ليتجه نحو شارع يقع على إحدى جهتيه مطعم للأكل السريع وعلى الجهة الثانية محل للأدوات الكهربائية. قالت بايج: «إنه المبنى الثاني».

قاد السيارة بين المباني المتواضعة، فرأى فندقاً صغيراً ثمّ تحويله إلى شقق للإيجار. وصل إلى الباحة الواقعة أمام منزلها، وأوقف السيارة.

من دون أن يزيح يديه عن المقود تأمل المبنى المغطى بالحجارة

القرميدية، النوافذ المصنوعة من الألمينيوم والشرفات الصغيرة المزينة بأواني الزهور. معظم الشقق بدت مهجورة، الجزء الوحيد الذي بدا مشعاً بالألوان الذهبية هو المكان الذي تسكن فيه بايج، فالألوان الذهبي والليموني والبني بدت كأنها تتحدى يأس المكان.

- شكراً لك.

قالت ذلك بصوت منخفض، لأن برودي كان قد غرق في النوم. أرادت أن يبتعد مارك عن المكان، ويعود بأمانٍ إلى عالمه الفخم.

أمرها من جديد: «أعطيني الطفل».

أجابته وقد شعرت بالذهول: «بإمكاني تدبر الأمر».

ابتسم فمه الجميل قليلاً وهو يقول: «سيصبح من الأسهل عليك أن تخرجي من السيارة إن أعطيتني إياه».

ترددت بايج قليلاً، فقال لها وعيناه الزرقاوان تظهران ضحكة صفراوية: «مِمَ أنت خائفة؟ هل تظنين أنني سأخطفه؟».

- بالطبع لا!

- لن أوقعه على الأرض أيضاً.

احمرت وجنتا بايج وأعطته الطفل، ثم خرجت من السيارة. حالما فعلت تفاجأت لرؤية مارك يخرج من السيارة أيضاً، وقد حمل برودي بين يديه بثقة. بدا قوياً وهو يتحرك بحركات رجولية رائعة.

قال وهي تقترب منه لتأخذ الطفل: «سأوصله إلى المنزل. ستجدين مفاتيحك بسهولة أكبر وهو ليس معك».

تراجعت عن محاولتها أخذ الطفل منه، ولم تجد أمامها خياراً سوى المشي نحو المنزل حيث توجهت لتفتح الباب. حين استدارت وجدت مارك خلفها تماماً، فدفعت الباب ليدخل إلى المنزل.

توقف مارك فوق سجادة بالية لونها أشبه بلون الوحل، وراح يراقب الغرفة الرثة. شعرت بايج بامتعاض بينما تفقدت نظراته أريكتها القديمة ذات القماش الممزق، والطاولة والكرسيين الوحيدين الموضوعين حولها.

تفحص مارك بنظره أيضاً المطبخ الصغير الذي يحتل ناحية من حائط الغرفة وإلى جانبه منشر للغسيل.

رغم محاولات بايج لجعل الغرفة أكثر جمالاً، أدركت أنها تخيب الآمال تماماً. حتى أواني الشتول والأزهار ذات الروائح العطرة التي وزّعتها عند عتبة الباب لم تحدث أي فرق.

قالت وهي تتقدم نحو مارك لأخذ الطفل من بين يديه: «آه! أنا آسفة. سآخذه منك الآن».

- لا بأس! لست منزعجاً.

جاء صوت مارك قاسياً وحازماً. لكن حين وضع برودي يده من جديد في فمه وبدأ يمصّها تغيّرت تعابير وجه مارك وأصبحت أكثر لطافة، ثم قال: «أنا لا أعرف الكثير عن الأطفال الصغار، لكنني واثق أنّ تصرفه هذا يدل على أنه يشعر بالجوع».

- يحتاج برودي لأن يغير ملابسه ويأخذ الدواء أوّلاً. سأسخّن له الحليب.

تمتمت بذلك، وهرعت إلى المطبخ لتحضر قطعة قماش صغيرة وتضعها تحت صنبور المياه. بعدئذٍ اقتربت من مارك لتعطيه إياها وتأخذ الطفل، فتجاهل الأمر وقال: «سأحمله حتى تحضري له الحليب».

لا يهمها ما يفكّر به حول شقتها... إنها لا تكترث على الإطلاق! في الواقع ربما تقوم بخدمة للعالم لأنها تريه كيف يعيش النصف الآخر من الناس، لكن حدة الاعتراض أزعجتها. بتصلب وصمت فتحت باب الثلاجة وأخرجت قنينة معقمة مليئة بالحليب. سكبت المزيج في الإبريق الكهربائي، وحالما وصلته بالكهرباء بدأ سلكه البالي يطلق شرارات كهربائية.

قال لها مارك: «احترسي!».

ارتاحت أعصابها لبعض الوقت كي تعود وتتوتر من جديد حين نظر نحوها. قالت محاولة التغطية على عويل برودي: «لا بأس!. أنا معتادة

عليه. كل ما يحصل هو إطلاق الشرارات الكهربائية».

- إنه خطير!

أرادت أن تقول له بغضب إنّه ليس خطيراً بقدره، كما أنها لا تملك المال لشراء واحدٍ جديد.

ظهر العبوس على وجه مارك وهو ينظر إلى ماكينة الخياطة الموضوعة فوق الطاولة والثوب الملقى بجانبها. سألها: «ما الذي حدث بحق السماء؟ آخر ما سمعته هو أنك ووالدتك ذهبتما للعيش في مزرعة أحد أقربائك في قرية تدعى بيلهافن، وأنك كنت تعملين في مكتب المزرعة».

لا بد أنّ جولييت أخبرته بذلك، وهو ما زال يذكر الأمر. ما لبث الدفء الذي ظهر في كلامه أن تبخر حين أنهى جملته قائلاً: «كيف انتهى بك الأمر للعيش في حي قذر في نابير؟».

ارتفعت ذقن بايج، وحدّقت بالإبريق الكهربائي، ثم قالت بتهذيب: «قد يبدو لك هذا الحي قذراً، لكن معظم الناس يعتبرونه مكاناً ملائماً، فهو يؤمن لهم مستلزمات الحياة الأساسية. وإن كنت تريد أن تعرف كيف وصلت إلى هنا فالأمر بسيط: لويد قريب والدتي توفي، وبيعت المزرعة».

راقبها باهتمام، ثم سألها قائلاً: «متى حدث ذلك؟».

- منذ عام تقريباً. انتقلنا إلى نابير لأن والدتي ظنت أنّه مكان جيّد لنعيش فيه...

ثم ابتلعت ريقها وأنهت كلامها بصوت محزن: «للأسف، بالنسبة لها تبين أنه مكان جيد كي تموت فيه».

سألها بتهذيب وبنبرة بدت غريبة: «ما الذي حدث؟».

- ذهبت في نزهة إلى شاطئ البحر، فسحبتها موجة ثائرة.

- أنا آسف جداً! أعلم كم كنتما مقربتين من بعضكما. متى حدث ذلك؟

شعرت في صوته نبرة لطيفة نادرة، ما جعلها ترمش بشدّة وتجيبه قائلة: «منذ خمسة أشهر».

كسر صوت الإبريق وهو يغلي الصمت الذي ساد بينهما. فصلت بايج عنه الكهرباء، وسكبت الحليب في وعاء كبير.

نظر مارك نحو الطفل الراقد بين ذراعيه، وسألها: «أين هو والد الطفل؟».

حتى تلك اللحظة لم يخطر ببالها أنه اعتقد بأن برودي هو ابنها، وقبل أن تخبره عن شيري وبرودي، خرق الطفل الصمت بعويل جديد، فقالت بسرعة: «إنه ليس هنا. سآخذ برودي الآن، فهو يحتاج إلى تغيير ثيابه وإلى وضع المرهم على بشرته كي يتوقف الحكاك لديه».

أخذت الطفل وتحرّكت به نحو باب غرفة من دون أن تنظر خلفها. علت وجه مارك ابتسامة ساخرة بينما أغلقت بايج الباب بحزم خلفها.

من الواضح أنها لا ترغب بوجوده في منزلها. في الواقع جعلها مرض الطفل تضطر للاعتماد على رجل تشعر نحوه بكره شديد.

فكرة واحدة أزعجته وجعلته مشوش التفكير: هي لا تريده في منزلها، لكن كلمّا اقترب منها تصرّفت كهرة تواجه خطراً.

٢ - لا شيء تغيّر!

أجال مارك نظره حول الغرفة، وقد ظهرت ابتسامة عنيفة على زاوية فمه. لا بد أن المكان كان تعيساً جداً حين انتقلت بايج إليه، لكنها تمكنت ومن دون صرف الكثير من المال أن تجعله مكاناً أكثر ترحيباً رغم أثاثه الرث. يراهن على أنها هي من قامت بطلاء الجدران بهذا اللون الذهبي الناعم الدافئ، الذي أعطى إشراقاً للغرفة الصغيرة.

الألوان الحيّة النابضة على الطاولة لفتت انتباهه، فمشى نحوها كي يتفحصها. بدت كفستان صغير يضج بالألوان الصارخة، لكنه أدرك ما هو بالضبط... إنه رداء مخصص للرقص!

إذاً لورين محقة! إلى جانب كونها أماً عزباء، تعمل بايج في نادٍ للرقص. لا بد أن الحياة لم تكن سهلة عليها بعد وفاة والدتها.

من هو حبيبها يا ترى؟ حسب مارك الأشهر كي يستنتج سن الطفل تقريباً، وأدرك أن حبيبها قد يكون شخصاً من بيلهافن لكن لماذا هو بعيد عنها الآن؟

زمّ شفتيه بازدراء بينما دفع بيديه نحو جيبيه. يود أن يلتقي بوالد الطفل، كي يخبره ما الذي يراه في رجل يجعل امرأة حاملاً منه ثم يتركها.

لكن خلف مشاعر الازدراء هذه، ظهرت مشاعر أكثر بدائية. إنها مشاعر غضب لأن رجلاً آخر سلبه المرأة التي يريدها. حاول أن يتصرف بعقلانية تجاه هذا الهوس المفاجئ. ما ينتابه ليس سوى مشاعر بدائيّة، ولو أنه تنازل قليلاً لحصل على ما يحصل عليه بقيّة الرجال منها.

بدا ذلك الجزء الضعيف بداخله غير قادر على التخلّص تماماً من هذا

www.elromancia.com

الشعور بالتوق إليها، لكنه على الأقل قادر على السيطرة عليه وكبته.

قفزت ذكرى رقيقة إلى فكره... لقد رقصا معاً في حفل زفافه! الرقصة التقليدية بين العريس وإشبينة العروس. تذكر عطرها والطريقة التي تمايل فيها جسدها النحيف مع جسده بأناقة طبيعية.

كانت لا تزال في السابعة عشرة من عمرها، متحمسة وسعيدة. لكنها رغم ذلك أخذت تنظر إليه بشكل جعله يشعر بالانجذاب نحوها.

فكّر بسخرية أنها بالتأكيد راقصة بارعة، فهي لا تتحرك كحوريّة فقط، لكنها تبدو كذلك تماماً... حتى الآن، وبعد أن أخذ الحمل والتعب وسهر الليالي بجانب طفلها المريض الكثير من إشراق بشرتها الناعمة وبريقها، وحرمها من حيويتها الرائعة. لا شيء تمكن من تغيير لون شعرها العسلي أو من إخفاء النور الذهبي الذي يشع من عينيها الخضراوين واللون الأحمر النابض بالحياة لشفتيها المرسومتين بإتقان.

في غرفة نوم شيري فتحت بايج منشفة نظيفة وغيّرت حفاض برودي. المستحضر السائل الذي وضعته له جعل الحكاك يتوقف. بقي برودي يتلوّى لكن من دون انزعاج كبير كما كان يفعل منذ دقائق. تمتمت وهي تقبّله قبل أن تحمله: «ما زالت وجنتاك حمراوين... من الأفضل أن تأخذ بعض الدواء الآن».

عليها الآن أن تجبر نفسها على الخروج إلى غرفة الجلوس من جديد. ما من رجل آخر تمكن من تحريك موجات كهربائيّة في داخلها من مجرّد لمسة كما فعل مارك. حتى في الظلام، يمكنها أن تتعرف على مارك من لمسته، كما فكّرت بذهول. لا شك أنّه يشعر بذلك هو أيضاً.

إنها تريده وهو يريدها. لهذا السبب جعلته يعتقد أن برودي هو ابنها. لكن ما الذي يفعله في نايير؟

فكّرت ببساطة أنه بالتأكيد ليس هنا ليبحث عنها... فحين التقت عيونهما في الفندق بدا منذهلاً مثلها تماماً. قال مارك وقد بدا صوته بارداً وهادئاً: «حضّرت له المقدار المطلوب من الدواء».

- شكراً لك.

كره برودي طعم الدواء، فأخذ يسعل ويخرج لسانه من فمه بتقزز. لكنها في النهاية تمكنت من أعطائه الكمية المطلوبة.

سألها مارك بنبرة جافة: «لِمَ لا يعيش والد الطفل هنا؟».

- إنه في أستراليا.

قاست حرارة الحليب على صدغها ووجدت أنه بحرارة الدم تماماً، فحملت الطفل والقنينة معاً إلى الأريكة. تركت خصلات شعرها تنسدل بتعمد فوق وجهها كي تضع حاجزاً بينها وبين عيني مارك.

سألها مارك، وكأنه يملك الحق في ذلك: «هل ستنضمين إليه؟».

- لا!

أبقت بايج عينيها موجهتين نحو الطفل، وتابعت بشكل هادئ: «أصبح الطفح الجلدي يشبه الجدري أكثر الآن».

أخذ برودي يرضع الحليب بفرح، لكن الحليب لم يشعره بالرضى كما يفعل عادة. بعد بضع دقائق أدار وجهه بعيداً، وعاد يصرخ.

شجعته قائلة: «هيّا، عزيزي! عليك أن تشرب بعض السوائل، وإلاّ سيفرغ جسدك من الماء كلياً».

رغم إدراكها أن الرجل يراقبها بنظرات متفحصة، خاطرت وسرقت نظرة سريعة نحوه من بين خصلات شعرها التي انسدلت فوق وجهها.

لم تظهر على وجه مارك أي تعابير مميزة. لكن خلف بشرته السمراء وعينيه الزرقاوين اللتين يعلوهما حاجبان كثيفان داكنان، شعرت بايج بهدوئه وارتياحه. منحها ذلك بعض الشجاعة لترجع شعرها إلى الخلف عن وجهها، وتنظر مباشرة إلى عينيه.

بنبرة صوت رشيقة ومقصودة قالت له: «شكراً لك. كنت طيباً جداً معي. هل تمانع في إغلاق الباب خلفك حين تغادر؟»

تقلصت عضلات فخديه القويّة وهو يجلس في الناحية الأخرى من الأريكة، ثم سألها وقد ظهرت في صوته نبرة أوضحت عدم وجود أي نيّة

لديه بالمغادرة: «أخبريني... لماذا تعيشين في هذا المكان؟»

حاربت بايج أي انفجار للاستياء في داخلها، وقالت: «مقارنة بالطريقة التي يعيش بها غيري، فإن الحياة هنا ليست بذلك السوء».

ارتفع أحد حاجبيه الداكنين بعدم تصديق، لكن صوته بقي مؤدباً: «أراك تتهربين من الإجابة. أعتقد أن موت والدتك جعلك تعانين من ضائقة مالية كبيرة، أليس كذلك؟».

ظهر بعض الهدوء في صوتها وهي تجيبه: «مراسم الدفن مكلفة»

صمت مارك قليلاً ثم قال: «ألم يترك لكما قريب والدتك شيئاً في وصيته؟»

- ولِمَ عليه فعل ذلك؟ لديه ابن يرثه.

علمت بايج أن صوتها بدا جافاً، لكنها لم تتمكن من تغييره. تابعت تقول: «كان لويد طيباً جداً معنا. أعطانا منزلاً لسنوات طويلة».

لم يبدُ مقتنعاً بما تقوله، فقال: «أخبرتني جولييت أن والدتك كانت تهتم بتدبير منزله، وأنت تنظمين أعماله كلها».

أبقت بايج نظرها موجهاً نحو وجه برودي، وقالت بهدوء: «كان يدفع لنا مقابل ذلك».

رغم أن المبلغ لم يكن كافياً، لكنهما تدبرتا أمرهما.

قال مارك بحزم: «إبقاؤك في المنزل هو تصرف أناني منه ومن والدتك. كان يجدر بهما إرسالك إلى الجامعة».

عضت بايج شفتها، ستكون خيانة منها إن شاركت هذا الرجل مأساة والدتها. قالت له: «كانت أمي بحاجة إلي لأنها عانت من الاكتئاب الشديد».

لطالما أمضت والدتها أسابيع بكاملها مستلقية في السرير، وهي تفكر بحياتها البائسة.

عبس مارك وقال: «هناك علاج لمثل هذه الحالات».

- لم ينفع معها أي علاج.

تنشق برودي بصوت مرتفع، فشجعته بايج ليشرب المزيد من الحليب، وتابعت تقول لمارك: «على كل حال شعرنا بالسعادة هنا. قد لا يبدو المكان جيداً بالنسبة لك، لكن أمي تأقلمت جيداً، وحصلت أنا على عملٍ في مكتب، وبدا... بدا أن كل شيء يسير بشكل جيد إلى أن اعتبرت فائضاً في العمل، وأجبرت على ترك المكتب. بعدئذٍ توفيت أمي».

شعرت بايج بالحماس للعمل، إلاّ أن خبرتها الوحيدة كانت في مجال مسك دفاتر المزرعة، وهي ليست خبرة كافية. قررت الاستفادة من الفرصة التي أتيحت لها لإثبات نفسها، إلا أن رئيسها في العمل راح يتحرش بها ويضايقها، فثارت لديها عاصفة من عزة النفس جعلتها تهدّده بتقديم شكوى، فإذا به يخبرها أنه وظفها فقط لأنه رأى فيها ضحية سهلة.

حسناً! أثبتت له عدم صوابية نظرته حين واجهته بردة فعلها الغاضبة فتركها وشأنها، وبعد شهر من ذلك اعتبرت فائضاً في العمل.

لم تتمكن من الحصول على عمل آخر في الشركة من جديد. في فترة الصيف يزيد العمل قليلاً لكن هذا يعني قضاء فترة طويلة بانتظار حلول الصيف. لا أحد يرغب بتوظيف امرأة من دون خبرة ومن دون كتاب تنويه بأعمالها السابقة.

نظر مارك إلى وجهها الشاحب المليء بالكبرياء، وشتم بصمت بالفرنسيّة، وقرر عدم الضغط عليها أكثر. رغم أن الالتماع في عينيها الخضراوين أخبره أن القصة هي أعمق بكثير ممّا أفصحت عنه.

هل تم الاعتداء عليها؟ الفكرة جعلته يشعر بغضب شديد. إنه لا يريد إجبارها على التكلم، فهنالك وسائل أخرى تتيح له معرفة ما يريد.

- لِكم من الوقت عانت والدتك من الاكتئاب؟

- منذ عادت جولييت وعائلتها إلى فرنسا.

رفع حاجبه ساخراً من هذة الحجة الواهية، فتابعت بصوت خفيف: «تركنا والدي من أجل سكرتيرته وقد حطّم ذلك والدتي».

بدت عيناه الزرقاوين قاسيتين كالماس، وسألها: «وهل أنت على

اتصال بوالدك؟»

قالت باختصار: «توفي هو أيضاً».

- كم من الوقت عشت بجوار منزل جولييت؟

لانت تعابيرها وهي تقول: «لمدة ثماني سنوات».

كان والد جولييت دبلوماسياً، ورغم فارق السن بين جولييت وبينها، إلاّ أن جولييت بدت طيبة جداً معها. ألقى مارك رأسه إلى الخلف فوق الأريكة غير المريحة. بدت نظيفة كالمكان بكامله.

شعر بالانزعاج لرؤيتها تعيش في محيط مماثل. قاوم أي رغبة في سؤال نفسه عن سبب هذا الشعور، وسألها: «ما هي مشاريعك الآن».

رمقته بنظرات حادة من عينيها الخضراوين المشتعلتين ناراً.

- في الوقت الحاضر، إيجاد وظيفة هو على رأس سلم أولوياتي.

قالت ذلك بتهذيب وهي تضع قنينة الحليب فوق الطاولة. رفعت برودي إلى كتفها وربتت على ظهره كي يتجشأ.

- ما الذي ترغبين في القيام به؟

حين تأخرت في الإجابة، أشار مارك نحو كتاب مرمي على الأرض بجانب الأريكة، كانت قد استعارته من المكتبة، وهو من تأليف خبير زراعي مشهور يتكلم عن رحلاته لاكتشاف فصائل جديدة من النباتات، وقد استمتعت بايج كثيراً بقراءته. تابع مارك يقول لها: «أرى أنك مهتمة بالنباتات».

- أحب الأزهار، وأجد زرع الشتول والأزهار رائعة.

قالت ذلك بصوت هادئ، كأنها تترحم على حلم ضائع في المدرسة. كانت تخطط لدراسة علم النباتات والبيولوجيا وأن تعمل لاحقاً حاضنة للأطفال، إلا أن حلمها ذهب مع الريح حين أدركت أن والدتها لن تتمكن من الاستمرار بالعيش من دون مساعدتها.

قال مارك بهدوء: «كانت جولييت لتشعر بالحزن لرؤيتك في هذه الحالة».

ألم يدرك أن خيانته لجولييت جعلتها تشعر بالضعف والحزن أكثر من أي أمر آخر؟ الغضب جعل بايج ترد بقسوة: «أنا أتدبر أمري. وقد توفيت جولييت منذ سنتين تقريباً».

- كانت تلك خسارة كبيرة!

بدا صوته خافتاً، وحين نظرت نحوه رأته يغمض عينيه قليلاً. لكن حين فتحهما عادت القسوة والبرودة الواضحة لتظهرا فيهما. وافقته بايج قائلة: «بالفعل!».

قررت أنه رجل غير حساس ولا مشاعر صادقة لديه. حين توفيت جولييت اتصل ببايج ليخبرها بالنبأ، وحين بدأت تبكي حاول التخفيف عنها. بدا لطيفاً، لكنه بعيد جداً وبارد.

قرأت المزيد عن خبر الوفاة في الصحف. فصديقتها كانت في المقعد الخلفي لسيارة ليموزين في إحدى الطرقات الجبلية في إيطاليا. عند أحد المنعطفات التفّت السيارة، وإذا بشاحنة تعطّلت مكابحها تصطدم بها، وتقذفها إلى الوادي. توفي حينها سائق الشاحنة وسائق سيارة جولييت وجولييت.

أبعدت بايج الدموع عن عينيها، وحثّت برودي ليشرب المزيد من الحليب.

- أنا آسف! لا شك أنك تفتقدينها أيضاً.

بدا صوته العميق بلكنته الغريبة مهذباً جداً. ثم اقترب ليلمس يديها. التفتت بايج نحوه مستغربة الشحنة الكهربائية التي شعرت بها في داخلها.

وقبل أن تقوم بأي عمل غريب كالتنهد أو الاقتراب منه، أطلق برودي غمغمة، ألحقها بعويل مرتفع.

أجفلت بايج، لكنها شعرت بالارتياح في الوقت نفسه لأنه أنقذها من التفتيش عن ردّ لكلامه. رفعت الطفل وأخذت تربّت على ظهره حتى هدأ. مارك كوربيت ينتمي إلى عالم بعيدٍ جداً عن عالمها، إنه عالم مليء بالثروة والسلطة والامتياز والمركز الاجتماعي المرموق. ربما هو يرغب

بها لكن التفاوت بينهما شاسع.

قالت بايج لنفسها إنّ عليها ألا تنسى ذلك أبداً، ثم وضعت قنينة الحليب في فم برودي، لكنه بصق الحليب من فمه وبدأ يبكي بهدوء.

قبلت بايج هزيمتها، ووقفت وهي تقول: «إنّه جاهز للنوم».

نظرت مباشرة نحو مارك وقلبها ينعصر بألم لا تفسير له. تابعت تقول بشكل رسمي: «شكراً لك على توصيلي إلى المنزل».

وقف مارك أيضاً حين وقفت. بدت طويلة جداً بالنسبة لامرأة، لكنه يفوقها طولاً بالطبع، ويسحرها بقوة حضوره وشخصيته البارزة.

سألها: «هل بإمكانك إحضار حاضنة للطفل؟».

ابتلعت ريقها وحاولت ترطيب شفتيها بلسانها، ثم سألته: «لماذا؟»

- أجيبيني بايج!

رفعت نحوه عينين جريئتين، وقالت بصوت متوتر ومنخفض: «لست مجبرة على إجابتك! لست موظفة عندك، أو شخصاً يريد أن تقدم له خدمة ما. فكرة إيجاد حاضنة لا تخطر ببالي، لأنني لا أريد ترك برودي».

إنها مراوغة أخرى منها، لكنها لحسن الحظ تمكنت من أن تجعله يلاحظ ذلك. استدارت كي تأخذ الطفل الذي يغفو بين ذراعيها إلى غرفة النوم، واتجهت نحو باب يؤدي إلى غرفتين صغيرتين للنوم وإلى حمام صغير جداً أيضاً.

أتى صوت مارك من الخلف هادئاً ومتوازناً: «في هذه الحالة سآتي في الصباح، وأحضر معي الفطور لكلينا».

تجمدت بايج في مكانها وقالت بحزم: «لا»!

- لِمَ لا؟

راحت تهزّ رأسها وهي تعلم أنها لا تجرؤ على رؤيته من جديد. الطريقة الوحيدة التي فكّرت بها لمواجهة ذلك الإصرار هي بتهديده، لكنها لم تثق بأنها ستتمكن من التكلم من دون إيقاظ برودي. فتحت الباب المؤدي إلى الغرفة الصغيرة بحذر، ثم قالت من بين أسنانها: «لأنني

لا أريدك هنا».

إلا أنه قال بإصرار من جديد: «لكن هنالك أشياء كثيرة لنتكلم عنها».

استدارت في مكانها، وقالت: «ماذا لدينا لنتكلم عنه معاً، بحق السماء؟ كل ما هو مشترك بيننا كان جولييت، وهي توفيت».

ارتفع حاجباه، وظهرت ضحكة صفراوية على فمه وهو يراقبها بغيظ. ثم قال بثقة: «للأسف، هذا ليس صحيحاً! لكن في الوقت الحاضر أنت منشغلة جداً ببرودي كي تركزي معي. لا شك أنه سيشعر بتحسّن في الصباح، عندها ستتمكن من مناقشة الأمور».

ضغطت بايج شفتيها على بعضهما بينما توجه مارك نحو الباب وخرج، ثم أغلقه خلفه. وضعت الطفل في مهده وراقبت مارك من النافذة وهو يسير تحت أشعة الشمس في الخارج. بدا كأنه مخلوق من كوكب آخر تشع منه طاقة رجولية كبيرة نشرت الاضطراب في المحيط الكئيب حولها، وجعلتها تشعر بانجذاب كبير نحوه... إنه انجذاب خطير ومخيف، وسيتحوّل لاحقاً إلى خيبة أمل.

بينما نام الطفل في مهده، وقفت تربت على ظهره، وتفكّر بجولييت. بعد مضي عامين على زواجها، اتصلت ببايج من نيويورك وأخبرتها عن شكوكها حول مارك ولورين، وقد بدت متأكدة مما تقوله. بدا الأمر رهيباً بالنسبة لبايج التي تحطمت حياتها بعد أن هجر والدها أمها، فقالت لها على الفور: «اهجريه!».

لكن جولييت أجابتها قائلة: «سيكون هذا تصرفاً غبياً. إنها أزمة مؤقتة وسوف تمرّ».

دهشت بايج لردها، وقالت لها: «لكنك لن تتمكني بعد الآن من الوثوق به!».

- أنا أثق أنه لن يتركني أبداً كما فعل والدك. مارك لن يخونني بهذا الشكل.

بدت جولييت مقتنعة تماماً بكلامها. وحين صمتت بايج، تابعت صديقتها قائلة: «أنا وهو نفهم بعضنا البعض. هو ليس كوالدك، وأنا لست كوالدتك لأضيّع عمري خلف شيء لا يمكنني الحصول عليه. زواجنا ممتاز، وإن بدت العقلانية والحياة العملية أمرين مملين، لكنهما يساعدان على إنجاح زواج سيدوم طوال العمر».

سألتها بايج بصراحة: «إن كان هذا ما تفكرين به، لِمَ أنت منزعجة من علاقته مع لورين؟».

تنهدت صديقتها وقالت: «آه! إنه أمر مؤلم، لكنني لست مليئة بالحماس والمشاعر المتفجرة مثلك، وقد اتفقنا أنا ومارك على نمط الزواج الذي نريده، وكان صادقاً جداً معي».

سألتها بايج بدهشة وتعجب: «هل أخبرك أنه سيقوم بإنشاء علاقات غرامية لاحقاً؟».

أين تعلّم مارك هذا التصرّف المتعجرف القاسي تجاه الوفاء للارتباط الزوجي؟

ضحكت جولييت بتسلية وقالت: «بالطبع، لا! قال لي إنه لن يكون قادراً على الشعور بالحب الذي يتكلم عنه الشعراء، إلاّ أنني أعجبه كثيراً، ويتمنى أن أكون أم أولاده. شعرت يومها بالسعادة لأنني، بصراحة بايج، لست رومنسية أيضاً. لا أعتقد أن بإمكاني تحمّل المشاعر الفائضة. سبق ورأيت كيف تمزق المشاعر الناس... إنها لا تدوم أبداً. أولادي لن يقلقوا بشأن طلاق والديهما، لأن أحدهما سيقع في حب شخص آخر. أنا ومارك سنبقى دائماً معاً من أجلهما».

ما زالت بايج تتذكر حتى الآن القشعريرة التي شعرت بها. قد يناسب هذا الارتباط البارد امرأة كجولييت، لكنها لم تتوقعه من رجل!

في الواقع، بايج لم تكن تتوقّع أي شيء من رجل، فالحياة من دون رجل بدت أكثر سلاماً بالنسبة لها. ارتجفت وهي تتذكر السنوات التي أمضتها والدتها متألمة بعد انهيار زواجها.

أيقظتها الأصوات في الخارج من ذكرياتها. ركضت بسرعة نحو النافذة، فرأت شيري تركض عبر الممر وهي تفتش عن مفتاحها، بينما انطلقت سيارة أجرة مبتعدة. فيما خرجت بايج من غرفة النوم إلى غرفة الجلوس كانت والدة برودي قد وجدت مفتاحها وفتحت الباب. بدأ جسدها النحيل يرتجف بانعدام صبر.

- كيف حاله؟

أخبرتها بايج بهدوء: «أكّدت لي الطبيبة أنه مصاب بالجدري. وضعت له المرهم فوق جسمه، وأعطيته الدواء، يبدو أن الأمر لا يزعجه كثيراً الآن».

سألتها شيري وهي تركض نحو باب الغرفة الصغيرة: «ماذا عن حرارته؟».

- ما زالت حرارته مرتفعة، لكن لم يمر الوقت الكافي منذ تناول الدواء.

هزّت شيري رأسها واندفعت إلى داخل الغرفة لتترك بايج تصغي إلى هدير محرك سيارة. توقفت أنفاسها حين رأت عبر النافذة سيارة البي أم دابليو تتوقف في موقف السيارات. رأت يخرج منها، ثم يرفع علبة كبيرة من المقعد المجاور للسائق، ويمشي متجهاً نحو شقتها.

تنبّه مارك لنوم برودي فدقّ بخفة على الباب. ولأن بايج لم تكن تريد إيقاظ الطفل أسرعت تفتح الباب قائلة: «ما الذي تريده؟ أخبرتك أنني...»

رفع العلبة في يده وقال: «ها هو».

حدّقت بايج نحوه بتساؤل، وقالت: «ما هذا؟».

أجابها: «هذا إبريق كهربائي لتسخين المياه والحليب».

ثم مشى نحو المطبخ ووضع العلبة فوق الطاولة.

شعرت بايج بالغضب، وقالت: «أنا لا أريده. أرجوك، ارحل».

- ليس قبل أن آخذ الإبريق القديم.

سحب مارك سلك الإبريق القديم البالي من الكهرباء وظهرت ابتسامة على زاوية فمه وهو يحمله عبر الباب.

أبقت بايج صوتها منخفضاً وهي تقول: «أنا لا أريد أي شيء منك».

ضاقت عيناه ثم قال خارقاً الصمت الذي ساد المكان: «إنها المرة الثانية التي ترفضين فيها أخذ شيء مني».

انخفضت رموش بايج فوق عينيها، وسألته بصوت صلب كالخشب: «لا أعرف ما الذي تعنيه بكلامك».

قال بقسوة: «لم تقبلي مني القلادة من قبل».

جمدتها كلماته في مكانها، لكن مارك ابتسم ومرر أصابعه الطويلة فوق خدها.

فجأة ارتفعت حرارة جسدها، وأجفلت، فأغمضت عينيها.

قال لها بازدراء: «لن يساعدنا ذلك. هنالك انجذاب كبير بيننا بايج. نحن التقينا من قبل، وشعرنا بالانجذاب نحو بعضنا البعض، ولن يستطيع أحد منا نسيان ذلك».

صمت قليلاً ثم قال: «لأن مشاعرنا لم تتغير بعد».

فتحت بايج عينيها وقد غاب اللون من بشرتها، وأصبحت تشعر بالبرد والارتجاف. الغضب والمرارة البادیان على وجهه جعلا الكلمات تهرب من لسانها. بدت ضحكته متوحشة وهو يقول: «نحن لم نتغير رغم كل شيء».

ثم عانقها بقوة، كأنه بذلك يعاقبها ويعاقب نفسه، فشعرت بايج بالحرارة تمتد في داخلها كالنار في الهشيم. استمر عناقه للحظة، وما لبث أن أطلق شتيمة بكلمات جليدية بلغة لم تفهمها، لكنها أدركت أنها الفرنسية، ثم تركها كأنه يشعر بالقرف منها. ترنحت بايج، فتمسكت بالكرسي، وراقبته وهو يخرج بصمت عبر الباب.

بين الغضب والخوف اللذين ساوراها، أرادت أن تصرخ وتشتم بجنون، لكنها لعنت الكلمات التي رفضت الخروج من فمها، وراقبت

سيارته وهي تبتعد لتخرجه من حياتها.

- رائع!

تنفست شيري وهي تقف بجانب الباب، وتابعت: «رائع... رائع... ! إن تمكن رجل من جعل قلبي يدق من جديد فسيكون هذا الرجل بالذات».

قالت بايج بغضب: «لا تفكري حتى بالموضوع. هناك امرأة في حياته، وهي طويلة، سمراء، متألقة وتناسبه تماماً».

أخذت نفساً عميقاً وهي تشعر بالألم، وتابعت: «هل اطمأنيتِ لأن برودي تحسّن؟».

هزت شيري رأسها: «يبدو نائماً».

ثم مشت إلى المطبخ، ونظرت نحو الإبريق الكهربائي الجديد، وقالت: «ما هذا؟».

- إنه إبريق لتسخين المياه. أحضره الرجل الذي قلت عنه «رائع» ثلاث مرات. يبدو أن إبريقنا لم يعجبه.

حاولت بايج أن تبتسم.

- أنا لا ألومه. من الذي يعجبه العيش بشكل مزرٍ؟ ما الذي تنوين فعله به؟

- حسناً! الإبريق الأصلي لك، لذا اختاري أنت ما الذي تريدين فعله.

- إذاً، سأختار الاحتفاظ به.

استدارت بايج مبتعدة وهي تسمع شيري تفتح العلبة لتخرج الإبريق منها. شعرت كأنها غارقة في إعصار يتحرّك بعنف لا يمكن السيطرة عليه، ويدمر كل من يقف في طريقه.

- إنه من نوعية جيدة. سأدشّنه بكوبين من القهوة أعدهما لنا.

قالت شيري ذلك وتنهدت، ثم تابعت: «كان يومي سيئاً، وأريد أن أفعل شيئاً كي أرتاح وأستعيد نشاطي».

جلست بايج فوق الأريكة، وقررت أن تفعل شيئاً كي ترتاح أيضاً وتسترجع نشاطها. شعرت كأن بشرتها تلسعها بسبب عناق مارك، لا بد أنها تعاني من هبوط في الأدرينالين!

٣ - لماذا عدت؟

نظرت شيري إلى بايج، وسألتها بصوت عادي: «من هو هذا الرجل؟».

- إنه زوج صديقة لي.

- أهي الصديقة التي ماتت في حادث سيارة؟

حين هزّت بايج رأسها اتسعت عينا شيري، وقالت: «هو الرجل الفرنسي إذاً!».

صححت لها بايج: «والدته فرنسية ووالده من نيوزيلاندا. كانوا ينادونه روبير بارون».

- هذا الاسم يبدو فرنسياً بالنسبة لي.

ملأت شيري الإبريق الجديد، وتابعت: «إنه رجل متوسطي بامتياز. بِمَ ينادونه؟ يبدو كاللورد الذي يملك حاشية كبيرة حوله».

أخبرتها بايج وقد ظهرت ابتسامة باهتة على وجهها: «هذا يلائمه تماماً، لكنني أعتقد أنهم يأخذونه بجدية أكبر وينادونه: «السيّد».

- هل التقيت به وأنت خارجة من النادي؟

بدت شيري غير سعيدة وهي تسأل ذلك، وتابعت تقول: «أتمنى أن تكوني قد أخبرته أنك لست راقصة، وأنك فقط تعتنين ببرودي من أجلي... إلى أن تجدي وظيفة أخرى».

قالت بايج بحزم: «لم أخبره شيئاً لأن هذا ليس من شأنه، وأنا آسفة فعلاً لزيارتك إلى العمل. أتمنى ألاّ تكون ربة عملك قد غضبت منك، لكن حالة برودي تدهورت كثيراً ولم يكن لدي ما يكفي من المال لآخذه

www.elromancia.com

إلى الطبيب».

- آه! انزعجت ربة العمل قليلاً، لكنها أمّ أيضاً، لذلك تفهمت الوضع فسمحت لي بالمغادرة باكراً من دون جدال.

ثم سكبت القهوة في فنجانين، وأعطت واحداً لبايج.

تنهدت بايج وسألتها: «لماذا لا تتوقفين عن العمل كراقصة؟ أنت تكرهين ذلك، و...».

قالت شيري بحزم: «سأتوقف عن العمل بعد أن أسدد الديون التي وضعها زوجي الحقير باسمي، وبعد أن أحظى بما يكفي من المال لضمان مستقبل برودي. أنا لست ذكيّة مثلك، وكل ما أستطيع تقديمه هو جسد جميل وحسّ بالإيقاع. لن أستطيع الحصول على المال إلاّ إن عملت في الشارع، وأنا لن أقوم بذلك طبعاً».

كشّرت بايج وقالت: «بالطبع! لن تفعلي».

قالت شيري وهي تجلس فوق الأريكة: «يا للرجال! سأربي برودي على احترام المرأة. لا أريده أن يكون كوالده».

رفعت بايج فنجان القهوة وقالت بسخرية: «فلنشرب نخب الرجال المسؤولين».

- سأشرب من أجل هذا النخب.

وضحكت المرأتان.

حين حل الظلام وأوت بايج إلى السرير، أخذت تتذكر المرة الأولى التي التقت بها مارك كوربيت. كانت في السابعة عشرة من عمرها، مليئة بالحماس. عندما طلبت جولييت منها أن تكون إشبينتها، كان لطلبها وقع القنبلة عليها. وصلت دعوة لوالدتها أيضاً لحضور الزفاف في باريس، مع تذكرتين في الدرجة الأولى. رغم أن والدتها رفضت السفر إلاّ أن لويد أصر أن تذهب بايج وعرض أن يدفع بنفسه تكاليف السفر.

بدأ الأمر يومها بشكل جيّد، فبعد اجتماعها بجولييت اكتشفت أن صداقتهما لازالت قائمة، ثم... آه، باريس! أحبت فساتينها، معارض

الرسم فيها، المتاحف والحدائق الرائعة... نعم... لاسيما الحدائق!.

كان مارك في رحلة عمل إلى آسيا ولن يعود إلا قبل يومين من موعد الزفاف. التقت بايج بمارك في إحدى الأمسيات الخاصة التي نظمتها والدته الأنيقة في شقتها الواسعة. عرّفته جولييت الفخورة بصديقتها، وما إن نظرت بايج إلى وجهه الوسيم حتى شعرت بالحرارة والذهول. رغم تجاوبها الداخلي معه إلاّ أنها حافظت على مظهر رسمي هادئ، وتمنت ألاّ يلاحظ ما شعرت به نحوه.

في باريس أقام المدعوون من قبل العروس في فندق، وبعد أن أوصلهم مارك من منزل والدته، دخلت بايج إلى غرفتها لتتركه مع خطيبته.

بعد نصف ساعة قرع باب غرفتها. وحين فتحت الباب بدأ قلبها يرقص في صدرها. قال مارك وهو يحمل علبة صغيرة مزينة بشريط: «أعتقد أن عليك الحصول على هذه الهدية الليلة كي تضعيها غداً».

نظرت بايج إلى العلبة وسألته باستغراب: «ما هذا؟».

ابتسم لها ابتسامة أذابتها من الداخل، ثم قال: «إنها هدية تقليدية من العريس لإشبينة العروس».

ولأنها لم تقترب لتأخذ الهدية، قال بنفاد صبر: «هاكِ.. خذيها!».

أخذت بايج العلبة الصغيرة بتردد، واحمرت خجلاً لأن يدها أخذت ترتجف حين لمست أصابعها أصابعه، ثم قالت بصوت يشبه الهمس وقد ظهرت ابتسامة مصطنعة على وجهها: «شكراً لك».

كان عليها أن تغلق الباب في تلك اللحظة، وتفتح العلبة بمفردها في غرفتها، لكنها بدأت بفك الشريط على الفور مدركة أنه يراقبها.

إنها علبة مجوهرات! توقفت بايج عن التنفس، وكل ما تمكنت من سماعه هو صوت قلبها الذي راح يدق بشكل قوي متواصل.

ذهلت بجمال تلك الهدية... إنها عبارة عن سلسلة من الذهب، تتوسطها قلادة دائرية رائعة مرصّعة بالماس الذي يشع تماماً كعينيه

الزرقاوين.

قالت بحماس ورأسها منحنٍ إلى الأمام: «إنها رائعة... شكراً جزيلاً لك».

قال لها: «إنها قلادة. بإمكانك وضع صورة في داخلها... ربما لشخص تحبينه».

شعرت بالحرارة ترتفع بداخلها، ولأنها لم تجد كلمات مناسبة قالت من جديد: «شكراً لك».

سيطر عليهما الصمت العميق، وربطهما بنوع من الحميمية المخفية.

كسر مارك ذلك الصمت وسألها: «هل ستضعينها الآن؟».

ترددت قليلاً، ثم أخذت القلادة من العلبة المخمليّة، ولفتها حول رقبتها. فجأة شعرت بوخز في كل خلية في جسدها، وهي تمرر أصابعها والقلادة حول رقبتها.

قال مارك بنفاد صبر: «استديري!»

أطاعته بايج، لكنها شعرت بحلقها يجف وهو يمرر أصابعه حول رقبتها، وأخذ الثلج والنار يتصارعان في جسدها.

- ها هي!

قال ذلك بصوت حازم وابتعد، أما هي فاستدارت نحوه ببطء، خائفة مما قد تراه في وجهه.

نظر مارك مجدداً نحو القلادة فوق بشرتها، وقال: «جميلة جداً».

قال ذلك بوقار وصوته حازم كعينيه تماماً. لكن عصباً في زاوية فمه راح يرتجف مرة... ثم مرة ثانية... ومرة ثالثة أيضاً.

- شكراً لك!

انتشر هواء بارد داخل صدرها ولم تعرف كيف تنهي الأمر، فأظهرت ابتسامة صغيرة لا معنى لها وتراجعت إلى الخلف، ثم أغلقت الباب بوجهه. وأخيراً ألقت ظهرها على الباب، وقد بدأت معدتها تتقلص.

لقد نظر مارك إليها كما نظر والدها إلى المرأة التي ترك والدتها من

أجلها. ورغم أن بايج ما تزال عذراء فقد رأت ما يكفي كي تدرك كنه المشاعر التي أحست بها. نزعت القلادة عن رقبتها وأعادتها إلى العلبة، ثم أغلقت العلبة مذعورة بسبب الشعور الذي يراودها.

شعرت بالحزن في قلبها، وأنّبت نفسها. غداً سيصبح مارك زوج صديقتها المفضلة، لكنها منذ لحظات تاقت إليه بشكل مخيف. لمسة صغيرة بضع نظرات حوّلت إحساسها البريء به إلى شوق ملح ومحترق.

طيلة اليوم التالي شعرت بايج بالقلادة كأنها تحرق بشرتها، وكانت جوليت قد أصرّت عليها بأن تضعها.

* * *

بعد شهر من ذلك خرجت بايج من السرير، وارتدت ملابسها قبل أن تخرج من الباب وهي تمشي على أطراف أصابعها كي لا توقظ شيري وبرودي. كانت الجدري قد أصبحت مجرّد ذكرى لدى برودي، ورغم أنه نام طيلة الليلة إلاّ أنها لم تكن تريد أن تزعجه ووالدته.

حدّقت إلى ساعتها. لديها أكثر من ساعة كي تقوم بوظيفتها التي تعمل فيها بدوام جزئي، قبل أن تشتري الصحيفة لتبحث فيها عن فرص عمل جديدة.

حاربت شعوراً بالذعر راودها، فهي ليست على وشك إيجاد عمل جديد، ولم يعد بإمكانها الآن دفع الإيجار الذي سددته شيري عنها في الأسابيع الثلاثة الماضية، فعملها الآن يقتصر على أخذ كلبين للنزهة كل صباح من الإثنين حتى الجمعة.

ساعدها ذلك قليلاً، لكنه ليس كافياً. إذا لم تحظَ بوظيفة في وقت قريب، سيكون عليها المغادرة. لن تستطيع شيري الإنفاق عليها، حتى لو كانت تعتني ببرودي مقابل ذلك. لقد أصبحت أحلامها أمراً مستحيلاً، لكنها لا تريد أن تضيّع أحلام شيري أيضاً.

استقبلها الكلبان، ورحبا بها بحماسة كالعادة. قادتهما بايج إلى مرجة عند ضفاف النهر، ثم رمت لهما طابة كي يلعبا بها. لحسن الحظ أنهما

أبقياها منشغلة بمراقبتهما بشكلٍ منعها من التفكير بأمور مؤلمة.

لقد اختفى مارك من حياتها بالسرعة نفسها التي دخل فيها إليها!

ترك لها رسالة في اليوم الذي تلا لقاءهما، شرح خلالها أنه اضطر للقيام برحلة عمل بعيدة. لم تتوقع بايج أن تراه مجدداً، لكنها غضبت من نفسها لأنها شعرت بالأسف لعدم رؤيته. إنه لا يعني لها شيئاً. وهو قد أوضح بصورة لا تقبل الشك أنها لا تعني شيئاً له، وهذا ما توقعته بالتأكيد. شعرت بالهواء البارد الآتي عبر المحيط يلفح بشرتها، ويحرك قميصها المصنوعة من قماش الجورسيه الرقيق فوق جسمها. أقفلت فمها لتمنع نفسها من الارتجاف. لسوء الحظ، لم تستطع التخلص من صدمة رؤيته مرة أخرى، بسبب حضوره إلى أحلامها كل ليلة.

نباح الكلب الكبير الذي تبعه نباح شرس للكلبة الأصغر جعلاها تدير وجهها نحوهما. رأت رجلاً يتجه نحوها وساقاه الطويلتان تتحركان بخطوات سريعة فوق الأرض. شعرت بالارتباك، وتسارعت دقات قلبها لفترة، ثم هدأت.

بدا الرجل طويل القامة ذا شعر داكن... إنه مارك بالتأكيد! آه! اذكر الذئب و...!

للحظة رهيبة محرجة وجدت نفسها تتمنى لو أنها ارتدت ثياباً أفضل من بنطلون الجينز القديم وقميص الجورسيه التي، وإن كانت تتلائم مع لون عينيها، إلاّ أن رونقها قد زال منذ زمن. اختفى ارتباكها حالما بدأ قلبها يقفز من مكانه وأنفاسها تتوتر.

سمعت صوتاً صامتاً بداخلها بأمرها بأن تتخطى الأمر، وألا تفقد السيطرة على نفسها.

- اجلسا!

خاطبت الكلبين اللذين راحا يرقصان حولها لحمايتها، فأطاعاها على الفور.

أدارت وجهها نحو الرجل الذي يسير نحوها بكتفين مستقيمتين وفمٍ

تعلوه ابتسامة. تقلصت معدتها كأنها تتوقع هبوب عاصفة. لم يكن الرجل يبتسم فعلياً، لكن تعابير وجهه تدل على شعوره بالرضي. لاحظت أن الشمس قد زادت من سمرة وجهه بشكل ملفت. رفعت بايج رأسها لدرجة أن عضلات رقبتها كادت تؤلمها، ووجّهت نحوه نظرات باردة.

بادرها بالقول: «هل أنت بخير؟».

وحين حدّقت بغرابة نحوه، تابع يقول: «أخبرتني شيري أنك أصبت بالزكام. ما الذي تفعلينه في الخارج برفقة الكلبين بحق السماء؟».

أجابته بايج مدافعة عن نفسها: «أشعر بتحسن الآن».

قال لها وهو يراقبها بعينيه الزرقاوين: «لا تبدين بخير. تبدين شاحبة، كما أن هناك دوائر داكنة تحت عينيك».

حين التقى بها أول مرة كانت مشرقة ومليئة بالحيوية، وقد انعكس دفؤها على بشرتها وشعرها العسلي وفي عينيها الخضراوين الواسعتين. وحين التقى بها من جديد منذ شهر، بدت متعبة، أما الآن فهي تبدو... تبدو كأنها استنزفت كل ما لديها من طاقة، وأصبحت ضعيفة ومنهكة. شعور بالحماية تجاهها ظهر بداخله، تبعه غضب عميق.

- أصبت بفيروس الإنفلونزا، لكنني أشعر أنني بحال أفضل كثيراً مما كنت عليه في الأسبوع الماضي.

صرّت أسنانها على بعضها لتمنع المزيد من الارتجاف. يجب ألاّ تكوني في الخارج في طقسٍ باردٍ كهذا. خلع سترته، وقبل أن تدرك ما الذي يفعله، وضع السترة فوق كتفيها ولفّها حولهما. غمرتها الحرارة التي تملأ السترة من حرارة جسده ما جعلها تشعر كأن النار قد اشتعلت فجأة وبسرعة في كافة أوصالها.

تمتمت قائلة: «أنا لست...»

حاولت أن تبعد السترة عن كتفيها، لكن يدين قويتين منعتاها، فيما قال مارك بصوت أرسل شحنة كهربائية عبر عروقها: «إن لم تبقيها فوق كتفيك، سأحملك إلى السيارة بنفسي».

مع أن بايج لم تحدق في وجهه القاسي، إلاّ أنها فهمت من نبرة صوته أنه يعني تماماً ما يقول. بدت السترة دافئة بشكل رائع، تمتمت راضخة: «شكراً لك. ما الذي تفعله هنا؟».

توقفت عن متابعة الكلام وقد اختفى اللون من وجهها حالما التقت عيناها بعينين زرقاوين باردتين كالجليد. لابد أنه التقى بشيري!

أبعدت نظراتها عنه، ثم قالت: «أتمنى ألاّ تكون قد أيقظت شيري وبرودي».

قال بعدم اهتمام: «كانا مستيقظين. سررت لرؤية برودي وقد تماثل للشفاء».

قالت بحيرة: «إنه بخير... لماذا عدت؟».

- أخبرتك المرة الماضية أننا يجب أن نتحدث معاً.

ردّت عليه بصوت باردٍ، وهي تنظر إليه بعينين قاسيتين: «وأنا قلت لك إن ليس هناك ما نتحدث بشأنه. نحن ننتمي إلى عالمين مختلفين».

- هل تحاولين خداع نفسك؟

بدت كلماته هادئة متناسبة مع ردّات فعله. في تلك اللحظة نبح الكلب الصغير، فقالت بايج بنعومة: «تايغر كلب شرس».

قدّر مارك الكلاب بشكل صحيح، وأدرك أن الأصغر هو القائد. مدّ يده نحوه بطريقته السلطوية المعهودة فاقترب الكلب وبدأ يلحس أصابعه.

شعرت بايج بالانزعاج حين اكتشفت بوضوح أن الكلبين تقبّلاه بسهولة. بعد أن قاما باستكشافٍ بواسطة الشم فوق قدميه، جلس الكلبان أمامه بحماسٍ ولسانهما يتحركان بلهفة. قال لها مارك بنبرة الصوت اللطيفة نفسها: «أنا أحب الكلاب، كما أنني أملك واحداً. لماذا جعلتني أعتقد أن برودي هو ابنك؟».

هزّت بايج رأسها وأشارت قائلة: «أنت لم تسألني».

تمنت أن يخفي صوتها المنخفض الخوف المسيطر عليها. إنها لا تريده هنا، لاسيما في نايبر. وجوده في البلد نفسه سيجعله قريباً جداً بالنسبة

لها. لماذا لم يعد إلى قصره في فرنسا أو إلى شقته الكبيرة في نيويورك أو إلى منزله الجورجي الرائع في لندن؟ الأحاسيس التي حاولت تجاهلها خلال الشهر الفائت عادت لتنفجر من جديد.

- لماذا يعيش هو ووالدته معك؟

للحظة أرادت أن تقول بأن ذلك ليس من شأنه، لكنه تابع يقول بنبرة واثقة: «أنا واثق من أنني لو عرضت مبلغاً كبيراً من المال على شيري لأخبرتني».

- يا لك من محظوظ لأنك غني جداً ومشهور!

قالت ذلك وهي تشعر بشحنة أخرى من الأدرينالين.

فجأة لاحظت أنها تخلصت من الإحباط التي كانت تشعر به بسبب الزكام الحاد. ما الذي يجعل هذا الرجل يشعرها بالحيوية من جديد؟

وافق مارك على كلامها من دون خجل: «إنه نوع من الامتياز. أليس كذلك؟».

أدرك مارك أن الهدوء الذي ظهر عليها وهو يرفع حاجبه البني هو تحدٍ بحد ذاته... تحد من الصعب مقاومته.

قالت بايج بازدراء: «إذاً، اعرض المال على شيري كي تخبرك، فهي بحاجة إلى المال».

كاد مارك يبتسم، فهو لم يتوقع أن تقول له ذلك. ردّة فعلها غير المتوقعة بدت منعشة وخادعة في الوقت نفسه.

- لماذا جعلتني أعتقد أنك تعملين راقصة في ذلك النادي؟

- ليس من شأنك أن تعرف إن كنت راقصة أو حتى مثالاً سيئاً...

عبس وهو يتذكر تعليق لورين الساخر وهما في مدخل الفندق، ثم قال: «لم تعرف أنك ستسمعينها».

هزت بايج كتفيها ونادت الكلبين ليقتربا منها، ثم قالت: «هذا لا يهم... إنها حرة برأيها، رغم أنها تسرعت كثيراً في الحكم علي».

صحيح! لكنه لم يأتِ ليتكلم عن لورين...

- في المرة الماضية حين كنت هنا، طرأ أمر فاضطررت إلى الرحيل قبل الموعد الذي خططت له. وقد أخذ السفر وقتاً أكثر مما توقعت، لكنني نويت دائماً أن أعود. علينا أن نتكلم بايج.

- لا!

لاحظ مارك الحسم الكامل في حركة جسدها وفي وقفتها القوية. فكّر أن هذه ستكون معركته الآن، وهي معركة سيستمتع في ربحها. ذلك يعني أن عليه مفاجأتها، فهي متأهبة للمعركة، لذلك قال لها: «لنذهب من هنا، فأنت لا تستطيعين التوقف عن الارتجاف».

صفّر للكلبين فركضا بسرعة نحوه كأنه يشدهما برباط خفي. انزعجت بايج من وسائله الغريبة في السيطرة على الكلبين فمشت، بينما تكفّل هو بربط الرسنين حول رقبتيهما بنفسه بسرعة كبيرة.

قررت ألاّ تستسلم بسهولة، فنظرت إلى ساعتها وقالت: «على أي حال، حان وقت العودة».

سواء كانت تريد الذهاب أم لا، فالقرار أصبح لمارك الآن. التمعت أسنانه البيضاء مظهرةً ابتسامة، ثم قال لها: «سأذهب معك».

مدّت يدها لتمسك الرسنين، وقالت: «الكلبان من مسؤوليتي أنا».

هزّ مارك رأسه، وسلّمهما لها، ثم مشى بجانبها. بدا كأنه يحميها من الهواء البارد بجسمه الطويل القوي. ساعدتها سترته كثيراً لتشعر بالدفء، لكن تصرفاته جعلتها تذوب بداخلها.

الأمر ليس شخصياً! قالت لنفسها موبخة، فهو يفعل ذلك مع جميع النساء.

بدا لها أن حواسها أصبحت أكثر تيقظاً. وأثرت أشعة الشمس أكثر على بشرتها. رأت أن لون العشب الأخضر قد ازداد، بينما لم تلاحظ مطلقاً من قبل جمال بعض الزهور ورائحتها العطرة كما فعلت الآن.

توقفي! أمرت نفسها بسرعة. في الأسبوع الماضي كانت الذكرى الثانية لوفاة جولييت. ولو أنه فكّر بها ولو قليلاً خلال السنتين الماضيتين

لبحث عنها من قبل. ما كان ليحتاج إلاّ إلى توكيل شخص ما للبحث عنها. يكفي أن يقول له: جد لي هذه المرأة، فيجدها.

قالت لنفسها بقسوة: لكنه لم يفعل. أبقِ هذا في رأسك!

بعد أن مشت عدة خطوات قالت: «أين سيارتك؟».

المشي بجانبه بدا مثيراً للتوتر والذعر. شعرت أنها بحاجة إلى الابتعاد كي تصفي ذهنها وتتخلص من هذه المشاعر التي تساورها تجاهه.

- في آخر الشارع.

تخلّصت بايج من موقفها المتصلب، وقررت أن تتصرف بسرعة: «حسناً! أخبرني ما تريده الآن».

- جيد جداً.

بدا مستمتعاً، لكن المزاح ابتعد عن صوته وهو يقول: «جولييت تركت لك وصية».

توقفت فجأة عن الحركة وقالت: «ماذا؟».

التفت أصابعه الطويلة حول معصمها، وتابع يقول لها: «في وصيتها تركت لك علبة... لا أعرف ماذا هناك في داخلها. تركت لك أيضاً مبلغاً من المال».

قالت وقد اختفى اللون من وجهها: «فهمت!».

خلّصت يدها من قبضته، لكنها بقيت تشعر بأصابعه فوق بشرتها. سخرت من كلامه في سرّها وهي تكافح كي تبقى متوازنة.

- ما كان عليك أن تقطع كل هذه المسافة كي تخبرني عن تركة جولييت. بإمكانك إرسال العلبة لي عبر البريد، أما المال فأنا لا أريده. أعطه لمؤسسة خيرية.

قال بصوت بالكاد أخفى ازدراءه: «أنت فظّة وعنيدة».

- أنا لست كذلك... لا أقصد أن أبدو كذلك.

انتظر مارك بصمت حتى تنهي كلامها فتابعت: «أفترض أن العلبة عبارة عن تذكار ما، أما المال فلا أريده».

- أخشى أن الأمرين متصلان ببعضهما. هنالك شروط أيضاً.

بنظرة واحدة إلى وجهه المتصلب علمت بايج أنه لن يتراجع أبداً، سألته وهي تجبر نفسها على إخراج الكلام من بين أسنانها: «وما هي الشروط؟»

- تناولي الفطور معي، وسأخبرك.

- لمَ لا تخبرني بها هنا؟

رفع حاجبيه وأشار قائلاً: «لأنك الآن تشعرين بالبرد، وأنت ترتجفين، وقد بدأ لون شفتيك يتحول إلى اللون الأزرق، ولأن إرث جولييت يستحق أكثر من بضع كلمات نتداولها في الحديقة. اعتقدت أنك تشعرين بذلك مثلي. رغم أنكما لم تريا بعضكما كثيراً في السنوات الأخيرة من حياة جولييت، لكنني أعلم أنكما بقيتما على اتصال. أعتقد لأسباب كثيرة أنك كنت أفضل صديقة لديها. هل أطلب الكثير إن سألتك أن تعطيني بعض الوقت لأخبرك عن الموضوع؟».

أصبح لونها أبيض شاحباً، وقالت: «هذا كلام غير عادل ومتلاعب».

ارتفعت كتفاه وهو يقولك «لا يمكن التلاعب بالحقيقة».

بعد لحظة تردد تمتمت بايج قائلة: «آه... حسناً! عليّ توصيل الكلبين، لكنني سأكون في الشقة بعد عشرين دقيقة».

- سأوصلك أنت والكلبين.

بعد عشر دقائق كان مارك قد أوصل الكلبين إلى منزلهما وبايج إلى شقتها.

حين خرجت من أسرع حمام أخذته في حياتها، تمكنت من سماع الحديث الدائر في غرفة الجلوس... أو بالأحرى سمعت شيري وهي تضحك. عضت شفتها، وارتدت بنطلوناً بلون الشوكولا البنية وقميصاً قطنية من اللون الأحمر، انعكس لونها فوق شعرها وبشرتها. ولأن الحمام لم يكن كافياً لجعلها تشعر بالدفء تماماً، لبست سترة من اللون البني فوق

القميص. وضعت أحمر الشفاه كي يعطي وجهها الشاحب بعض الرونق، لكنها بقيت تشعر بأنها ليست بحالة تسمح لها بتناول الفطور مع مارك كوربيت.

فكّرت بألم أنها مختلفة تماماً عن رفيقته السابقة. في الواقع إن وشاح المرأة التي كانت برفقته يفوق بكثير ثمن ملابسها بأكملها، لكن بايج لم تكترث لذلك. خرجت عبر الباب وهي تشعر كأن خلاّط إعداد الحلوى يدور في معدتها، إلا أنها أجبرت نفسها على إظهار تعابير وجهها بشكلٍ غير مهتم.

جعلتها حيوية مارك تطير عبر المجرّة. بدا مرتاحاً، وقد ظهرت ابتسامة جميلة بعيدة عن السخرية على فمه. رغم أن ثيابه بدت عادية إلاّ أنها غطّت كتفيه العريضتين وساقيه الطويلتين بشكلٍ جميل وملفت للنظر.

إنه رجل ينضح بالقوة والسلطة معاً! حين التقت به في المرة الأولى شعرت بالحرارة خلف قوته الهادئة والمتماسكة، وساورها الخوف منها. تلك الحرارة لا تزال هناك، وبايج ما زالت تشعر بالخوف. لكن أكثر ما أخافها الآن هو تلك الحماسة التي ثارت في جسدها وهما يودّعان شيري.

٤ - تعالي معي!

حين جلست بايج في السيارة حاولت إخفاء مشاعرها المضطربة، فقالت: «سيصبح الطقس جميلاً إن توقفت هذه الرياح».

- منذ متى تعانين من الزكام؟

لم تنجح القميص المشرقة الألوان وأحمر الشفاه في جعلها تظهر بحال أفضل! أجابته قائلة: «أنا لا أبدو في حالة سيئة. أليس كذلك؟».

على الفور أطبقت شفتيها فوق بعضهما غير مصدقة ما تقوله. آه! يا لها من بداية! لاحظ مارك ذلك أيضاً، فأخذ يراقبها من رأسها حتى أخمص قدميها، متأملاً يديها اللتين ضمّتهما إلى بعضهما فوق حضنها.

قال لها بهدوء وهو يشغّل المحرك: «يبدو انك لم تتعافي من الانفلونزا بعد. أخبرتني شيري أنك لم تسمحي لها بالاتصال بالطبيب».

- لا يمكن للأطباء أن يفعلوا شيئاً مع الفيروس.

تمنت بايج لو أنها أبقت فمها مغلقاً ولم تتكلم.

قال مارك وهو يقود السيارة وقد ظهر في صوته نوعٌ من الانزعاج: «بإمكان الطبيب أن يصف دواءً كي لا تتعقد الحالة أكثر».

- لكنني لم أعانِ من أي تعقيدات. إنه مجرّد زكامٍ عادي مزعج كأي زكام، لكنني تحسنت الآن.

بعد أن رمقها بنظرة تدل على عدم التصديق، علّق قائلاً: «من الجيّد رؤية برودي بحالٍ أفضل».

رحبت بايج بهذا الموضوع المحايد وقالت: «أفادته الأدوية بسرعة. كنت محقاً... فقد تحسنت حاله كثيراً في اليوم التالي».

تحرّكت السيارة الكبيرة بهدوء نحو الشارع، قال مارك ببرودة: «أتصور أنك كنت تعتنين به أثناء غياب والدته في العمل».

- نعم.

- في أي ساعات؟

- طيلة فترة بعد الظهر وحتى تعود إلى المنزل في أوقات مختلفة.

بدا صوتها بارداً ومضجراً.

- كل يوم؟

هزّت رأسها وقالت: «لديها يوما عطلة في الأسبوع».

شعرت بالارتياح لأنه لم يتكلم من جديد حتى وصلا أمام منزلٍ في بوتهيل.

اعترضت قائلة: «اعتقدت أننا سنذهب إلى مطعم».

ونظرت حولها بشك لم تستطع إخفاءه.

قال لها بإيجاز: «أنا أقيم هنا».

أتراه يقيم مع صديقته؟!

- أتقيم في منزل؟

- الإقامة في الفنادق مملة، وأنا أفضل التواجد مع أصدقائي.

شعور بارد انتشر بين ضلوعها، عندها رمقها مارك بنظرات قاتلة، وقال لها بنبرة جعلت كل كلمة تبدو كالجليد: «بايج... أنا لست أخطط لقتلك ورميك من فوق التلة. إن كنت لا تريدين تناول الطعام هنا سآخذك إلى أقرب مطعم، ويمكننا التكلم عن تركة جولييت أمام أي شخص يهتم لسماع الأمر».

القتل هو آخر ما يخطر في بالها، لكنها تتصرف بغباء. في الواقع، مارك يتحكم بكل كلمة يقولها ويسيطر تماماً على نفسه، لكن تجاوبها معه هو ما أخافها. هي بالتأكيد لن تقوم برمي نفسها بين ذراعيه، وفي ما عدا ذلك ستبقى في أمان. إلاّ أنها تابعت تقول: «ماذا عن صديقتك أو عن الشخص الذي يملك المنزل؟ فهو لم يدعني إلى منزله».

- أصحاب المنزل ليسوا هنا في هذه الفترة.

جالت نظرات عينيه الزرقاوين فوق وجهها، وتابع يقول: «إنهم في العمل، وهم يعلمون أنك آتية لتناول الفطور. سآخذك كي تقابليهم وتتعرفي عليهم إن كان ذلك سيشعرك بالتحسن».

فقالت بعدم ارتياح: «هذا ليس ضرورياً».

تمكنت من تخيّل شكل أصدقائه... لا بد أنهم أرستقراطيون، أولادهم يقصدون مدارس خاصة حصرية وباهظة الكلفة. بالتأكيد كان المنزل فخماً، وذا ديكور رائع. توترت معدة بايج بينما اصطحبها إلى غرفة الطعام المغمورة بأشعة الشمس التي تنعكس من فوق مياه البحر القريب.

قال لها وهو يشير نحو طاولة طعام وضعت عليها الأواني الصينيّة: «اجلسي! تبدين بحاجة ماسة إلى القهوة».

حالما جلست أحضر لها التوست والفواكه والقهوة والعصير. راح يتحرك بثقة كمن اعتاد أن يقوم بذلك بشكل دائم.

تفاجأت بايج لأنها فهمت من جولييت أنها ومارك كانا يستخدمان مدبرة منزل في المنزل الذي يملكانه في نيوزيلاندا والذي يقع على الشاطئ. تناولت قطعة من التوست، وشربت القليل من عصير الليمون بينما تناول مارك صحناً من العصيدة.

رشف القليل من القهوة، ثم قال: «والدي كان أحد الأشخاص التقليديين الذين يعتقدون بحزم أن الرجل لا يستطيع القيام بأي أمر بشكل صحيح إن لم يتناول صحن عصيدة على الفطور».

ابتسمت بايج لكلامه، وقالت له: «والدي كان يحب النقانق واللحم المقدد».

لطالما حاولت والدتها أن تقنعه بأن ذلك سيسبب له سكتة قلبيه قاتلة، وهذا ما حصل... لكن بعد أن خرج من حياتهما لفترة طويلة.

تفحّص مارك الشديد لها أرسل بداخلها وخزاً من المشاعر، لكنه

سرعان ما أخذ يحدثها عن الانتخابات المقبلة، ما جعلها تستريح.

قال فجأة من دون أي مقدمات: «العلبة التي تركتها لك جولييت موجودة في منزلي في أروهاني. في وصيتها طلبت أن تحضري إلى الجزيرة كي تحصلي على نصيبك. أرادت أن تبقي لأسبوع كامل هناك».

بدأت بايج تحرّك رأسها، وقالت بحزم: «لا! هذا مستحيل!».

- لماذا؟

ردّت بانعدام صبر: «عليّ الاهتمام ببرودي».

شرب مارك رشفة من فنجان قهوته، وقال: «أهذا هو السبب، أم أن لديك من يعترض على تحركاتك؟ إن كان الأمر كذلك، فاحضريه معك».

احمرت بايج خجلاً، وردّت باختصار: «لا! ما من أحد».

شعرت بالانزعاج بسبب عدم اكتراثه لوجودها مع رجل آخر، وتابعت تقول: «برودي هو السبب الرئيسي. لكنني أقوم أيضاً باصطحاب الكلبين إلى نزهتهما كل صباح. عليك إرسال التركة إلى هنا».

- الأمر ليس بتلك السهولة.

تحوّل صوتها إلى لطافة مصطنعة حين قالت: «ليس من الصعب إرسال العلبة بالبريد، وأنت تعلم ذلك. فقط قم بتعليبها... على الأرجح أن مدبرة المنزل ستقوم بذلك، ثم خذها إلى مكتب البريد، وهم سيتكلفون بالباقي».

- استفزازك هذا لن يوصلك إلى أي مكان، أما بالنسبة لبرودي وللكلبين، فيمكنني الاهتمام بالموضوع.

نظرت بايج نحوه بانزعاج: «لا شك لدي أن بإمكانك القيام بذلك، لكنني بحاجة إلى كسب بعض المال إلى أن أجد عملاً ثابتاً».

- ألديك مقابلات عمل مقررة حالياً؟

اعترفت قبل أن تفكّر: «لا، ليس بعد. لكنني لا أظن أنني سأجد وظيفة في نابير في إعلانات الجريدة المحليّة في الجزيرة».

- بإمكاني تأمين ذلك أيضاً، معظم الجرائد المحليّة ستكون بمتناول يدك عبر الإنترنت. وإن لم تكن موجودة فسأكلف أحدهم بأن يبحث لك عن وظيفة في غيابك. جولييت أرادت أن تأتي أنت إلى أروهاني، وأنا أعتقد أن عليك فعل ذلك.

كتمت بايج كلماتها الساخرة، إذ أرادت أن تسأله: ماذا عن عشيقتك؟ هل ستكون هناك أيضاً؟

لكن بدلاً من ذلك، قالت: «ما الذي جعلها تفكّر بترك شيء لي؟ لم يكن لديها أي فكرة أنها... أنها قد تموت بهذه الطريقة المأساوية».

قال مارك بحزن: «لقد أصريت أن تكتب وصيتها حين تزوجنا. أما بالنسبة لتركها ميراث لك... فلِمَ لا وأنت أحب صديقاتها إليها؟».

نظرت نحوه عبر أهدابها، ورأت بشرته السمراء وجسده المتين. بدا واثقاً تماماً من نفسه، لكن عينيه بدتا شاحبتين. فعلى الرغم من جرحه لجولييت، لا شك أنه افتقدها وشعر بالحزن لأن حياتها انتهت بهذه السرعة.

بدا طعم القهوة مراً جداً في فم بايج، وقالت: «أنا لم أتوقع شيئاً منها».

- أعلم. وإن كنت تتساءلين لماذا لم أخبرك من قبل، فهي من طلبت في الوصيّة ألا تأخذي تركتك إلاّ بعد مرور عامين على وفاتها.

ذهلت بايج، وحدّقت في وجهه، فالتقت عيناها بعينيه الزجاجيتين بعمقهما الأزرق. سألته باستغراب: «لماذا؟ يبدو الانتظار لعامين والطلب بأن أذهب إلى أروهاني أمرين غريبين، فهي حتى لم تحب...».

- ... الجزيرة... أعلم ذلك.

رفع كتفيه وهزهما، ثم تابع يقول: «لا شك أن لديها أسبابها. ومع أنني لا أعرف ما هي، لكنني أحاول تحقيق أمنياتها».

حدّقت بايج في فنجان قهوتها المائجة، وتمنى جزء منها لو أن جولييت لم تذكرها بهذا الشكل.

- هل تعلم ماذا تركت لي؟

ارتفع أحد حاجبيه الأسودين وقال: «لا! إنها علبة صغيرة، لذا أعتقد أنها علبة مجوهرات أو تذكار».

- لن أتمكن من الذهاب، وأنا أعني ما أقول، فأنا لا أملك المال لأذهب وأعود إلى منزلي.

- هذه ليست مشكلة.

- أنا لا أريد مساعدة خيريّة.

حدّق مارك بها بقوة بعينيه الجليديتين، وقال: «أرادت جولييت أن تحصلي على ما تركته لك. هل إعطاء أسبوع من وقتك لتنفيذ آخر أمر قد تطلبه منك هو تضحية كبيرة إلى هذا الحد منك؟».

وقفت بايج، وواجهته قائلة: «أنت مخادع ومراوغ جدير بالازدراء».

وقف هو أيضاً، وقال بصوته المتعالي الذي بدا مهيناً أكثر من إطلاق الشتائم: «لكنك تعرفين ذلك أصلاً».

قالت بايج من بين أسنانها: «أعرف تماماً ما أنت عليه».

رد مارك بابتسامة: «مهما كان ما تظنينه بي، ثقي أنني أملك السيطرة على نفسي تماماً، وأنني لا أفرض نفسي على امرأة لا تريدني».

- أنا... أنا لا أعتقد... إنني... لم أفكّر بهذا الموضوع.

لكن هذا ما فكّرت به في الواقع، ومارك أدرك ذلك. سيطر الشعور بالإذلال على هدوئها. بدت سخيفة لأنه، حتى وإن وجدها جذابة، فإن سيطرته على نفسه أقوى بكثير من انجذابه نحوها. لقد أعطت الموضوع أهميّة أكثر ممّا يستحق، فماذا تعرف هي عن العلاقات؟ آخر صديقٍ حميم حصلت عليه كان في المدرسة، وهي الآن مخلوقة نادرة في الثالثة والعشرين من عمرها، ولا تزال عذراء. لا بد أن مارك يضحك منها الآن!

قال لها بهدوء: «سوف أسافر إلى أستراليا في اليوم التالي لذهابك إلى الجزيرة، إن كان ذلك يشعرك بالارتياح».

راقبها بعينين ضيقتين، لكن ظهر في صوته دفءٌ طمأنها، ثم تابع

يقول: «بايج، أرجوك. تعالي إلى أروهاني. سأوصلك إلى هناك بالطائرة، وبإمكانك العودة بالطريقة التي تفضلينها».

راقب مارك وجهها الشاحب، وهو يشعر بالاحتقار لنفسه بسبب المشاعر التي اشتعلت في داخله نحوها، والتي خبأها خلف رغبته بتحقيق أمنية جوليت الأخيرة.

ظهرت ابتسامة على زاوية فمه تفضح مشاعره تلك. يمكنه فعل ذلك... يمكنه السيطرة على مشاعره! فيما هو يراقب وجه بايج، أخذ يتساءل ما الذي جعله يشعر بتلك الأحاسيس نحوها؟ إنه شيء أعمق من جمالها. رغم أن عينيه قدّرتا بشدّة جمال بشرتها الحريرية، ومعالمها الجذابة. إلاّ أن معالمها تلك ليست من النوع الذي يبقى في الذاكرة، هذا إذا استثنينا عينيها الخضراوين وذقنها المليء بالتصميم. آه! هذا من دون ذكر فمها الجميل وجسدها النحيف الرشيق... حاول مارك أن يتجاهل الشوق الذي يشعر به نحوها. إنها ليست من النوع الذي يتحمّل الضغط، وحين أصبحت دفاعاتها قويّة جداً شعرت بالتعب. تذكر مارك الشعور بالحماية الذي أحسّ به تجاهها.

قال وهو يمسك بيديها الباردتين محاولاً استخدام ورقته الرابحة: «لا تجعلي الموضوع أمراً ضخماً. لا أعلم لما اشترطت جوليت أن تذهبي إلى أروهاني، لكن بما أنها فعلت، فأنا أود أن أرى أمنيتها تتحقق».

ارتجفت بايج، وظهرت ظلال ذات لون أخضر داكن في عينيها، وهي تخفض رموشها وتنظر بعيداً. عندها علم مارك أنه حصل على ما يريد.

ترك مارك يدها فمشت نحو النافذة، وحركتها تظهر ارتباكها. حين عادت لتواجهه لم يستطع رؤية تعابير وجهها بوضوح، لكن التوتر الذي ظهر فوق كتفيها أخبره أنها أخذت قرارها.

قالت: «حسناً! سيكون عليّ ترتيب بعض الأمور. لن أذهب إن لم تكن شيري قادرة على الحصول على الوقت الكافي لتهتم ببرودي».

كبح مارك شعور الرضى الذي شعر به، وقال: «بإمكاني المساعدة

بهذا الأمر».

رمقته بنظرات متمرّدة وساخرة، لكنها قالت رافضة عرضه بتهذيب: «شكراً لك، لكن ذلك ليس ضرورياً».

يعرف مارك حق المعرفة أنه يملك تأثيراً على الجنس الآخر، لذا فهو معتاد على رؤية النساء ينظرن إليه بإعجاب ويشعرن بالأمان برفقته، أو على الأقل يبدون متأكدات من زيادة رصيدهن في المصرف بمجرد إقامة علاقة معه.

اعترف لنفسه أنه من غير المألوف لديه أن يقابل امرأة تعامله بانعدام ثقة. وربما لهذا السبب شكّلت بايج تحدّياً لديه. لا! هو ليس سطحياً إلى هذا الحد. لسبب ما أثرت به هذه المرأة، بقوّة تخطت تحفظه حيال مشاعره وتغلّبت عليه. قال بهدوء: «سنرى. الآن سأحضر اللحم المقدد والبيض. هل ستنضمين إليّ؟».

ذهلت بايج لأن معدتها بدأت تتجاوب، لكنها قالت: «أنا... شكراً لك».

- اجلسي وأنا سأحضر الطعام، أو... بإمكانك المجيء لرؤيتي وأنا أطهو إن أردت.

- أنت... تطهو؟

لم تحاول إخفاء صدمتها، أجابها مارك بهدوء: «بالطبع أطهو».

ثم فتح باباً نحو غرفة استنتجت بايج أنها المطبخ.

إنه ليس مجرّد مطبخ قديم بل هو حلم أي طاهٍ محترف. وقف مارك جانباً مفسحاً لها المجال لتمر قبله.

سبقته نحو المطبخ ومازحته قائلة: «أعتقد أن بإمكانك تسلق الجبال من دون التزود بالأوكسجين، ومحاربة الدببة بيدك من دون أي سلاح».

- لا! أنا فقط أهاجم الأسود بيدي الخاليتين من السلاح، أما الدببة فأحاربهم بسكين أحمله بين أسناني.

ضحكت بايج بتلقائية شعرت بها للمرة الأولى منذ التقيا.

بعد أن ابتسم لها ابتسامة أذابت قلبها، وضع مارك اللحم المقدد لكي يطهوه. راقبت بايج يديه المحترفتين وهما تستخدمان الأدوات المطبخيّة بشكل بارع.

يبدو أنها أصبحت معتادة على اعتباره رجلاً يحرّك مشاعرها ويزيد الهرمونات في جسدها، رغم أنه زوج جوليت. علاقته بلورين بورتر جعلتها تفكّر أنّ كل ما يهتم له خارج إطار العمل هو العلاقات الجنسيّة، لكن الرجل الذي يطهو لها الفطور الآن لا يشبه صورة الرجل المخيف الذي رسمتها عنه. وهذا الأمر جعله أكثر خطورة.

بعد مرور ساعة خرجت بايج من السيارة وقالت بامتنان: «شكراً على الفطور. كان لذيذاً».

حدّق مارك بالساعة الذهبيّة في معصمه، ثم قال: «سأراك عند الساعة التاسعة».

رمقته بنظرة مليئة بالشرر ثم قالت: «هذا سخيف! لن أتمكن من تنظيم الأمور في هذه الفترة القصيرة».

قال لها بإصرار: «إذاً، سأعطيك ساعتين».

حاول إخفاء تفحّصه لها برموشه الطويلة، إلاّ أن حركة استخدام رموشه تلك بدت كالسلاح القوي الفتاك. حاربت بايج تأثيرها وقالت بقسوة: «لا يمكنني أن أعدك بشيء».

ابتسم مارك وقال لها: «عند الساعة العاشرة! بايج لا تقلقي. سأهتم بجميع الأمور».

وقفت شيري خلف النافذة تراقب سيّارة مارك وهي تغادر موقف السيّارات، ثم قالت بصوت يلفه الذهول: «آه!! يا لهذا الديناميت! بإمكاني أن أفهم الآن كيف أصبح بليونيراً».

نظرت بحذر نحو بايج، وقالت: «أنا آسفة لأنك لست راضية عن قبولي المال منه كي أبقى في المنزل مع برودي».

تابعت بايج وضع ثيابها في الحقيبة الوحيدة التي تملكها، وهي حقيبة

أعطاها لها لويد لمناسبة عيد الميلاد منذ بضع سنوات. قالت بهدوء: «المسألة ليست كذلك... ألن تغضب ربّة عملك؟».

قالت شيري وهي تهز رأسها: «لا! أعلم أنه ما كان يجدر بي أخذ مال مارك، لكن المال لا ينقصه أبداً، فلِمَ لا يدفع لي؟».

لم يكن كلامها سؤالاً موجهاً لبايج، لذا أجابت بنفسها قائلة: «بالطبع، هو لن يشعر بخسارته».

أضافت بايج المزيد من الثياب إلى الحقيبة، وتمنت لو أنها تملك قطعة ثياب واحدة لا تدل على أصلها المتواضع. تابعت تقول لشيري: «أنا أكره المفاجآت... ليتك لم تخبريه أين كنت هذا الصباح».

احمرت وجنتا شيري وربتت فوق ظهر برودي، ثم قالت وهي تشعر ببعض الذنب: «إنه ليس من الرجال الذين يسهل رفض طلباتهم».

- أعلم ذلك. لا تكترثي لما أقوله... أنا فقط غاضبة قليلاً بسبب ما وصلت إليه الأمور.

- هل أنت واثقة أنّ ذهابك هو فكرة جيّدة؟

قالت بايج وهي تتنهّد: «لا! لكن... حسناً، إن كانت رغبة جوليت تقضي بأن أذهب إلى أروهاني لأستلم الإرث، أشعر أنني سآخذها إن لم أفعل».

في غرفة الجلوس جلست شيري فوق الأريكة، وأخذت تبتسم لابنها. رفع الطفل يداً صغيرة وأخذ يلوّح بها بينما قبّلت والدته وجهه. سألت شيري بايج: «بأي طريقة أصبحت في الماضي صديقة زوجته؟ صديقك مختلف عنك. هذا النوع من الرجال عادةً يتزوجون بنساء يشبهنهم، وهم عادةً أيضاً لا يصادقون إلاّ نساء من مستواهم».

- إنه ليس صديقي.

ملأت بايج إبريق الماء الجديد. وقالت رافعة صوتها ليغطي على صوت المياه الجارية: «كنا أنا وجوليت نعيش في شقتين مجاورتين لبعضهما في ويلينغتون. كانت أكبر مني بخمس سنوات، لكنها أحبت

الأولاد. . . اعتادت على مناداتي بأختها الصغيرة الجميلة، رغم أنها هي من كانت الجميلة بيننا. حين انتقلت عائلتها بعيداً بكيت كثيراً، فوعدتني أنني سأكون إشبينتها، وهذا أمر له قيمة كبيرة بالنسبة لفتاة في الحادية عشرة من عمرها».

نظرت شيري إليها مستفسرة: «أنت محقة! هل التزمت بوعدها؟».

- نعم. لذلك أمضيت معها أسبوعاً في باريس، وأهدتني الفستان الذي ارتديته في زفافها.

أما مارك فأهداها القلادة!

قالت شيري بجفاء: «إذاً، جولييت كانت غنيّة أيضاً؟».

- لم أفكّر أبداً بالموضوع. لكن لا بد أن عائلتها كانت غنيّة. نعم، فقد كان والدها يعمل في السلك الدبلوماسي.

- تبدو لطيفة بالنسبة لي.

- كانت لطيفة. . . وطيبة ومضحكة. بقيت على اتصال بي حتى بعد زواجها.

أحرق اللهيب وجنتي بايج وهي تسكب المياه الساخنة في الكوبين.

قالت شيري بتأثر: «ثم قتلت في حادثة. . . يا لقسوة القدر!».

الأمر الأقسى هو أن مارك اعتبر الزواج مجرد خدعة. زواج ملائم خضع له فقط لأنه بحاجة إلى زوجة ملائمة.

عبست بايج وهي تنظر حولها: «نعم. والآن، هل أنت واثقة من أنك ستكونين بخير؟».

كررت لها شيري بصبر: «سنكون بخير. كيف تدبرت أمر الكلبين؟».

- تذمرت السيدة غريغ في البدء، لكن تلميذ المدرسة الذي يسكن بجوارنا سيعتني بهما حتى أعود.

حملت بايج كوبي القهوة ومشت عبر الغرفة، ثم جلست فوق كرسي.

وضعت شيري برودي على الأريكة، ثم قالت لها: «لن تتمكني من التهرب من هذا الأمر، لذا عليك التعامل معه على أنه عطلة قصيرة. أنا

متأكدة من أنك قادرة على التعامل مع الوضع. لقد مررت بفترات عصيبة خلال السنة الماضية، وأظن أن الطقس سيكون أكثر دفئاً في الجزيرة، لذا حاولي أن تكتسبي بعض السمرة».

نظرت بايج عبر النافذة بينما اقتربت سيارة من المبنى، وخرج مارك منها. تمتمت وقلبها يكاد يقفز من مكانه: «حان وقت الرحيل».

حملت شيري برودي وعادت لتراقب مارك: «آه، يا إلهي! إنه فعلاً رجل مميز. كوني حذرة بايج».

شدّت بايج جسدها، وعبرت الغرفة لتفتح الباب، فسألها مارك فوراً: «هل أنت جاهزة؟».

- نعم.

تنحت جانباً كي تسمح له بالدخول، ولم تتفاجأ حين خرجت شيري عن فلسفتها المعتادة مع الرجال، وقامت بإعطاء طفلها بسهولة له.

لاعبه مارك بثقة وهو يبتسم لذلك الوجه الصغير. أما الطفل فلم يقم بإطلاق صراخه المعتاد الذي يطلقه بحضور الغرباء. بوجه هادئ، نظر نحو مارك ثم أظهر ابتسامة صغيرة، وبدأ بتصفيق كفيه بشكل حيوي.

ابتسم مارك ابتسامته المعهودة وقال: «أعتقد أنّه عرفني».

بدا برودي سعيداً تماماً، فرفع ذراعيه ولوّح بهما فوق رأسه. هزت شيري رأسها، ثم أخذت الطفل مجدداً وقالت: «يبدو أنه أحب البقاء معك. قبل أن ترحلا، من الأفضل أن أحصل على العنوان ورقم الهاتف. . . فقط في حال احتجت إلى التواصل مع بايج».

- سأعطيك بطاقتي.

قال مارك ذلك، ثم أخرج من جيبه محفظة جلدية صغيرة، وسحب منها بطاقة كتب عليها، وأعطاها لشيري. قرأت شيري ما كتبه على الفور، وسألته: «أين تقع جزيرة أروهاني؟».

بينما شرح مارك لها، راقبت بايج زاويتي فمه وهو يجبر نفسه على إظهار ابتسامة. بالطبع، فهم ما الذي رمت إليه شيري بأسئلتها، فحذرها

www.elromancia.com

لم يكن خافياً عليه. هزت شيري رأسها وقالت: «سمعت أنها تمطر كثيراً».

أظهر ابتسامة بشوشة أخرى وقال: «إنها لا تمطر في كل الأوقات».

أعاد محفظته إلى مكانها، ونظر باتجاه بايج، ثم قال: «علينا الذهاب، فالطائرة تنتظرنا».

لقد عنى تماماً ما قاله، فبعد نصف ساعة كانا يتجهان شمالاً على متن طائرة تتسع لعشرة أشخاص فقط. في العادة، كانت بايج لتستمع برؤية مساحات نيوزيلندا الشاسعة من الطائرة الخاصة، ببراكينها الثلاثة المغطاة بالثلج... لكن لا شيء في هذه الطائرة الصغيرة الفخمة، وفي الرحلة بشكل عام بدا عاديا.

حملت مجلة أزياء من بين المجلات التي عرضها عليها المضيف. لكنها سرعان ما وضعت المجلة جانباً.

بطرف عينيها تمكنت من رؤية يدي مارك عبر الممر بينما راح يقلب الأوراق أمامه. بدت يداه جميلتين ذات أصابع طويلة وقوية، وهي تقلب الأوراق بمهارة، فكرت بايج أنها الآن في طريقها إلى جزيرته. تساءلت، كيف بحق السماء أخذت قراراً مماثلاً؟ لا بد أنه رمى عليها سحراً ما. لا! إنها هي من سمحت له بالسيطرة عليها بقوّة إرادته، وبحجة تركة جولييت لها. لماذا فعلت جولييت ذلك؟ ولمَ طلبت من مارك أن ينتظر طويلاً بعد وفاتها قبل أن يتصل ببايج؟ يبدو الأمر غير منطقي...

حدّقت به مجدداً بنظرة جانبية، وهذه المرة رفعت بصرها نحو وجهه، بدا مأخوذاً الآن بقراءة أحد الملفات، بدا وجهه مليئاً بالخطوط والزوايا المتناسقة، لكنها لمحت خلف هذه القوة المتحضرة غطرسة عميقة وقوة عزم صلبة جعلتاها ترتجف من الداخل. حررت بايج ناظريها، وأخذت تنظر نحو الغيوم الموزعة فوق المساحات الخضراء للبلاد، فيما راحت كلمات شيري الأخيرة تطنّ في أذنيها. حين حمل مارك حقيبة بايج إلى سيارته سمعت صوتاً بداخلها يقول: «الوقوف أمامه كالدخول إلى النار». شاهدت مارك يقفل صندوق السيارة الخلفي، وأجابت الصوت قائلة في

سرها وهي تبتسم: «أعتقد أنه رجل جيّد». سمعت الصوت يجيبها: «بايج يمكنك أن تحظي ببعض المرح، لكن كوني حذرة».

المرح؟!

استرقت بايج نظرة أخرى نحو الرجل وهو يقلب أوراقه بسرعة، فتقلصت معدتها بإحساس غريب، جميل. لن يكون هنالك مرح... قلبها سينكسر إن...

توقفت عن متابعة الفكرة، فهي لن تقع في غرامه. حدقت نحو يديها الملقاتين فوق حضنها، وأجبرت نفسها على التذكر أنه تزوج من جولييت لأنها مناسبة لمستواه فقط، وأن لورين بورتر لا تزال في الصورة أيضاً. حسناً! إنها تشعر بشيء حياله، لكن ذلك بالتأكيد ليس حباً. إنه مجرد انجذاب كما دعاه مارك. وهي لا تزال تشعر بالقشعريرة حين تفكر بصوته وهو يقول ذلك بنبرة مستبدة قاسية.

٥ - جزيرة الحب الكبير

استيقظت بايج وقد أحاطت بخصرها يدان قويتان، وأخذ صوت رجولي يشق طريقه عبر أحلامها. حين أجبرت نفسها على فتح عينيها، قابل وجه مارك ناظريها. بدا قريباً جداً منها.

قفز قلبها إلى حنجرتها حين التقت عيناها بعينيه الزرقاوين الحارقتين. انحنى مارك أمامها وكتفاه العريضتان تعترضان الرؤية نحو قمرة الطائرة. تمتمت وهي لا تزال تحارب النعاس، وتشعر بالفرح لاقترابه منها: «ماذا... ؟ ماذا هناك؟ هل وصلنا؟».

بدا صوته وكأنه يخرج من حلقه حتى بالنسبة إليه: «لا، ليس بعد».

أخذ مارك نفساً عميقاً وهو يرى بؤبؤي عينيها يتسعان، ويتحوّلان إلى مستنقع داكن داخل عينيها ذات اللون الأخضر الذهبي، مظهرين إشارات لا إراديّة... إشارات فهمها جسده جيداً، وتجاوب معها بشكل تلقائي. كل خليّة في جسده تفاعلت بإعجاب مع نظراتها الثقيلة الغاضبة، ومع شفتيها اللتين انفرجتا عن بعضهما بحركة غير مقصودة.

- ما الذي تفعله؟

رغم أن الكلام خرج من فمها بهشاشة، إلاّ أنه تمكن من ملاحظة القوّة الحسيّة في صوتها. قال لها بخشونة: «سنهبط قريباً، وقد أضاء إنذار وضع حزم الأمان. حاولت وضع حزام الأمان لك من دون إيقاظك».

رفضت يداه أن تتحرّكا بعيداً عنها، فالتفتا بتملك حول خصرها، ما أشعل ناراً وحشية حارقة في إرادته القهريّة.

علم مارك أن الحب هو عبارة عن مشاعر تقوده إلى الالتزام المطلق،

وهو أمر لا يمكنه تقديمه أو تقديم الوعود به. على الرغم من ذلك، لطالما جعل مارك حبيباته، بمن فيهن زوجته، يفهمن أنه يحترمهن ويحبهن.

قبل ليلة من زفافه نظر مارك في عيني بايج الخضراوين، فشعر أنه يريد معانقتها بكل جوارحه. إنه يحتقر الرجال الذين يستغلون النساء، وأذهله أن يكتشف أن نظرة واحدة من فتاة التقاها للتو، وهي فتاة لا تزال في المدرسة الثانويّة، جعلته يفقد ثقته بنفسه ويشعر بتوق شديد إليها.

لم يتمكن السخط من إنهاء مشاعره هذه أو كبحها، كما فشلت في ذلك السنوات الطويلة التي مضت.

وضعت بايج يديها فوق يديه، وقالت: «سأضعه بنفسي».

شعر مارك بإحساس غريب، وكأن الأرض تحرّكت تحت قدميه، ونقلته إلى عالم مجهول. أوقعته عيناها في شرك مشتعل، لم يختبر مطلقاً من قبل شوقاً مماثلاً جعله يشعر وكأنه يجلس فوق فوهة بركان خطير... جميل... ومدمّر...

سحب حزام الأمان بحركة واحدة، وربطه خلفها، ثم وقف قبالتها كالبرج، فبدا لها خطيراً ومهدداً.

سألها وهو غير قادر على إبعاد نظره عن النبض الذي أخذ يتسارع عند أسفل عنقها النحيف: «هل أنت بخير؟».

- نعم. آسفة، غالباً ما أستغرق وقتاً طويلاً قبل أن أصحو تماماً.

احمرّت وجنتاها ونظرت بعيداً، بعد أن قوّمت كتفيها بجهد واضح.

انزعج مارك من عدم قدرته على التحكّم بنفسه، فجلس بسرعة قبل أن يخذله جسده. حرّك يديه بعنف ووضع حزامه الخاص، ثمّ ركّز نظره خارج نافذته، محوّلاً اهتمامه إلى البحر والسماء.

سرعان ما أيقن أن لا جدوى من ذلك! فجميع المناظر الجميلة في الخارج تلاشت حالما خطر في باله كم ستبدو بايج رائعة في سريره.

يا إلهي! إن كان مجرّد لمسها جعله يحس بتلك المشاعر نحوها، فقد كان عليه البقاء خلف البحار وتكليف مكتبه بأن ينظم هذه الرحلة إلى أروهاني

من دونه.

إذاً، لِمَ لم يفعل ذلك؟ ها هو سبب ارتباكه وهو يجلس بقربه! لقد أدارت وجهها بعيداً عنه فظهر لون شعرها العسلي الداكن وقد حجب وجهها.

على الرغم من أنهما لا يجلسان متلاصقين، إلاّ أنه شعر بقربها، وشمّ رائحة العطر الطبيعي لبشرتها، وتمكن من رؤية يديها بطرف عينيه، وقد وضعتهما في حجرها بشكل يوحي بالاسترخاء، إلاّ أنه شعر بأنهما متوتران تماماً مثل يديه. راقب أصابعها الطويلة الجميلة، ورسم خياله صورة أخرى لتلك الأصابع وهي تلامس بشرته؛ البشرة الذهبيّة بالقرب من البشرة البرونزيّة...

فكّر ببرودة أنّه مجرد تقارب جسدي، لكن مارك اعترف لنفسه أنه حين يكون برفقتها فهو يشعر... بشيء من الضعف. فلبايج سلطة عليه، سلطة يرفض الخضوع لها، لأنها حالما تعلم أنها تملك تلك السلطة، فقد تصبح قادرة على السيطرة عليه.

رغم ذلك، فهو يرغب بمعانقتها، وهو خبير بما يكفي كي يرى التجاوب الحسّي لدى المرأة. إذاً، لِمَ لا يقبل بما تعرضه عليه في لا وعيها؟

لأنه أمر لا واعٍ، وهو لن يستغل براءتها! بالإضافة إلى ذلك، كم امرأة في مثل سنها لا تملك الخبرة كما يبدو عليها؟ ربما هذه مجرد حيلة... إذا ما ارتدت بايج ثياباً أنيقة، واهتمت بمظهرها، فسوف تصبح رفيقة مذهلة. وحين يخرجها من حياته سوف يحرص على أن يجعلها تعيش حياةً مريحة، فلا تحتاج بعدئذٍ إلى العمل والكدح إن أرادت ذلك. من المؤكد أن حياتها ستغدو أفضل بكثير مما هي عليه الآن. أليس كذلك؟

استدارت نحوه، وسألته وقد أصبح صوتها صلباً تماماً كمعالم وجهها: «أين سنهبط؟».

رمقها بنظراتٍ قاسية، ولاحظ اللون الذي ظهر فوق بشرتها الذهبيّة الحريريّة. ابتلعت بايج ريقها وبللت شفتيها الجافتين بلسانها.

- في كريكاري... إنه أقرب مطار إلى الخليج.

استدارت بايج مجدّداً لتنظر من النافذة، وتراقب البحر الذي يظهر الآن بمحاذاة الطائرة. أخذت نفساً عميقاً، وملأت رئتيها بالهواء بشكل مؤلم. كل لحظة تمر وهي بقربه تنبئ بالخطر، لأنها قد تخون نفسها وهي بين النوم واليقظة. لا بد أن مارك لاحظ مدى انجذابها إليه! إنها ترى الانزعاج الواضح على وجهه، فقد حوّل عينيه ووجهه إلى صفحة متصلبة كالجليد. سبق لجوليت أن أخبرتها عن النساء اللواتي يطاردنه، أخبرتها أيضاً عن مدى ازدرائه لهؤلاء النساء.

جعلتها الكبرياء ترفع كتفيها وتلوي فمها... أتراه يظن أنها واحدة منهن، وأنها ستوفر له سريرها وتسمح له بإقامة علاقة معها؟ تصلبت شفتاها الناعمتان، لا شك أنه سيسخر منها إن علم أنها لم تقم علاقة مع رجل من قبل. لكنه لن يكتشف ذلك طبعاً. من الآن وصاعداً ستغدو هي أيضاً متحفظة مثله تماماً.

فتحت فمها بدهشة وهي تنظر إلى المشهد الرائع الذي يبدو من النافذة. تبخر تماسكها تماماً حين جاءها صوته القوي الذي علا على صوت المحرّك، وكأن كل كلمة يقولها مصحوبة بملاحظة دقيقة: «نحن نستدير فوق الخليج... من المفترض أن تري جزيرة أروهاني الآن».

اقترب منها وأشار بإصبعه قائلاً: «إنها هناك!».

أدركت بتوتر أنه يتجنب ملامستها، ولحقت نظراتها إصبعه.

بدت الجزيرة مستلقية وهي تتموّج بألوانها، كأنها قلب كبير يستلقي فوق البحر الملتمع. يحيط بها خليج ضخم حيث يمكن رؤية أماكن داكنة مليئة بالصبّار والأعشاب البريّة وأماكن أخرى مشعّة باللون الأخضر الفاتح. رمشت عينيها عندما ذكّرها المشهد باللؤلؤ والزينة المشرقة التي انتشرت في المكان حيث أقيم زفافه.

سألته قائلة: «هل تسمى الجزيرة أروهاني بسبب شكلها؟ فالاسم يعني الحب الكبير، أليس كذلك؟».

تفاجأ مارك بنبرة صوتها الحماسيّة. بدا بوضوح أن صوتها تحسّن كثيراً حين استيقظت تماماً، فيما أبقت بايج نظرها مثبتاً نحو الجزيرة.

قال لها بصوت جاف: «نعم. لكن اسمها يعود إلى أسطورة نيوزيلاندية قديمة تدور حول عاشقين لقيا حتفيهما، حملت الجزيرة هذه التسمية قبل وصول أوّل أفراد عائلة كوربيت ليستقر فيها».

- إنها جميلة جداً.

فتشت عن شيء آخر تقوله، إلا أنها لم تجد إلاّ هذا التعليق السخيف، فتابعت تقول: «سبق أن رأيت صوراً للجزيرة، لكنني لم أدرك عدد الجزر الكثيرة المنتشرة حول الخليج».

- قيل لي إنها أكثر من مئة وخمسين جزيرة. ألم تأتي إلى هنا من قبل؟

- ليس في فترة أذكرها. لكن حين كنت طفلة كنا نأتي إلى فيجي والشاطئ الذهبي في أستراليا.

اختفت ابتسامتها وتابعت: «وحين كنت في الحادية عشرة أخذتني أمي إلى عالم ديزني في كاليفورنيا».

كانت عطلة رائعة، لو لم يفسدها والدها بعدم ذهابه معهما. حين عادتا إلى المنزل لم يكن في انتظارهما، فقد انتقل أثناء غيابهما للعيش مع سكرتيرته، وأخذ معه الأيام السعيدة والضحك والفرح.

أخبرها مارك محدثاً: «ولد والدي على الجزيرة وأحبها كثيراً، أما أمي فتظنها مكاناً غير أنيق».

بايج تذكر والدته جيّداً... امرأة ذات أناقة وجمالٍ فرنسيين لا يحتاجان إلى مجهود ليظهرا، وقد انسجمت مع جوليت جيّداً.

تابع يقول: «تقول أمي إنها علمت دوماً أن الجزيرة ستقود والدي إلى النهاية. خرج إلى البحر ذات يوم في محاولة لإنقاذ مجموعة من الصيّادين الأغبياء، وكان هؤلاء قد ذهبوا لاصطياد السمك من دون التحقق من

الأحوال الجوّية أو إزعاج أنفسهم بأخذ سترات النجاة، وهكذا لقوا حتفهم جميعاً...».

هزّت بايج رأسها، وقالت: «أنا آسفة».

هزّ مارك كتفيه، وقال: «لطالما استمتع أبي بالقيام بالمخاطرات. كان ليفضل الموت بهذه الطريقة على الموت وهو رجل عجوز وعاجز».

أصابت بايج القشعريرة وهي تنظر إلى عيني مارك الباردتين اللامعتين. أدركت أنه هو المسؤول عن تحرّك الأدرينالين لديها بشكل رهيب وسريع.

استدارت لتحدق من النافذة. لاحظت أن الأشجار تغطي معظم أراضي أروهاني. لكن من الفضاء تمكنت من رؤية أسطح المنازل المغطاة بالقرميد البني المائل إلى الأحمر. لا بد أنها أمطرت منذ فترة قصيرة لأن الجزيرة تشع كأنها مطلية بمادة خضراء لامعة.

قالت بهدوء: «تبدو الجزيرة غامضة وآسرة. كأنها خارج الزمان والمكان، حيث جميع القوانين تصبح معطلة».

- إنها فعلاً ميزة هذا المكان. فهو يوفر للمرء أشياء ليست موجودة في أي مكانٍ آخر... إنها ذات سحرٍ وجمالٍ خاصين بها.

كلامه الذي بدا غير ذي أهمية بالنسبة له علق في ذهنها وخلق لها تحدّياً جديداً.

لا تفكري بالموضوع! أمرت بايج نفسها وهي تقمع الحماسة التي اشتعلت في داخلها، وتحاول تركيز اهتمامها على الجزيرة التي بدت من النافذة أشبه بحلم جميل.

- اعتقدت أنك تفضّل الحياة في باريس.

- أنا أحب باريس، وأحب لندن ونيويورك أيضاً، لكن لطالما كانت أروهاني منزلي ومرجعي.

أخبرتها جولييت أنها شعرت بالضجر لعدم وجود تسلية مشوقة في أورهاني، وبعد سنة من زواجهما زار مارك المكان بمفرده.

ثبتت بايج نظرها على المنظر في الخارج، وركّزت على تذكير نفسها بأن مارك، كوالدها تماماً، قام بخيانة زوجته. لكن ذلك لم ينفع... لم تستطع التفكير بأمر آخر، بل ظل تفكيرها مركزاً على الرجل الذي يجلس بجانبها. بالكاد تمكنت من استيعاب التأثير الذي يمارسه عليها، والذي يجعل قلبها يقفز كالحصان، وفمها يجف بهذا الشكل.

أهي وسامته؟! تساءلت بعنف، وفكرت أنها إذا استسلمت لتأثيره وسحره فذلك يعني أنها تخون صداقتها لجولييت. وقد تقع في حبه أيضاً...!

لا شك أن هناك رجال يحبون من دون أنانيّة لكنها لم ترَ سوى القليل منهم. خيانة والدها سببت لوالدتها الاكتئاب الذي دمّر حياتها، وزوج شيري وعدها بحب أبدي ثم تركها حين أخبرته أنها حامل. حتى والدة مارك تُركت بمفردها بعد موت زوجها المتهوّر. شعرت بايج بالذهول وهي تنظر نحو قريتين تقعان بمحاذاة الشاطئ تحت جناح الطائرة. وتتابعت أفكارها... ما دامت هي إنسانة حرّة فلا أحد سيتمكن من إلحاق الأذى بها.

قال مارك شارحاً: «إنهما باليهيا وروسيل، وهما بلدتان مميزتان لقضاء العطلة، إلاّ أن روسيل تحتوي على مبانٍ قديمة مثيرة للاهتمام أكثر. خلال دقائق سترين بساتين الفاكهة وكروم العنب».

على الفور ظهرت مساحات من الأراضي مقسّمة على شكل مربعات، ومفصولة عن بعضها بسياج من الشجيرات.

شعرت بايج بالذعر، فأغمضت عينيها، وتساءلت ما الذي أتى بها إلى هذا المكان!

انساب الدفء إلى يدها حين أمسك مارك بها، وقال بصوت عميق هادئ: «لا بأس، اهدئي! فنحن فقط نقترب من الأرض».

شعرت بايج أنها تصرّفت بغباء، ولم تستطع التكلّم. تركت يدها مستلقية في دفء يده، وتساءلت كيف يمكن للمسة بسيطة كهذه أن ترسل

في جسدها شحنات من الخدر وصلت إلى عقلها ومنعتها من التفكير.

أجبرت نفسها على فتح عينيها فيما كانت الطائرة تقترب أكثر فأكثر من المزارع. قال مارك وهو يشير نحو مجموعة صغيرة من المباني: «إنه مطار كريكاري. سننتقل الآن إلى الطائرة المروحيّة».

ثم ترك يدها ليشير نحو آليّة مركونة في المدرج. ابتلعت بايج ريقها. مارك رجل غني جداً، ولطالما علمت ذلك. فالعقد الذي أهداها إياه يساوي مبلغاً ضخماً من المال، لأنه مصنوع من نوع قيّم من الماس ومشغول يدوياً. إنه يملك منازل موزعة في أقطار العالم، ولأنه يحب الخصوصيّة فقد اشترى العديد من الجُزر.

أخذت أفكارها تتسارع من جديد، فيما تردد صوت داخلي في رأسها قائلاً: ما كان عليك أن تأتي!

أخفضت بصرها نحو بنطلونها الجينز. إنه من جنس بشري مختلف عنها! قالت ذلك لنفسها بقسوة، لكنها تذكّرت أنها هنا فقط كي تأخذ ما تركته لها جولييت. غداً سيعود مارك إلى عالمه، أما هي فبعد قضاء أسبوع في هذا المكان الرائع سوف تعود إلى عالمها الحقيقي، ولن تراه من جديد.

حين تغيّر صوت المحرّك وتباطأ تقدم الطائرة، سألته بايج سؤالاً كان يدور في رأسها منذ رأته يقترب منها ومن الكلبين في الحديقة: «كيف عرفت أين كنت هذا الصباح؟ قالت شيري إنها أعطتك فقط توجيهات عامة، فأنا لا أخرج مع الكلبين إلى المكان نفسه كل يوم».

صمت قليلاً قبل أن يقول لها بهدوء: «كنت أبحث عنك. فالتحري الخاص أخبرني أنك تخرجين الكلبين كل صباح، وأنك تلتزمين بنظام معيّن في زيارة الحدائق والشواطئ».

شعرت بايج بالغضب، فحدّقت أمامها وقالت بقوّة: «هذا فعلاً جنون!».

قال ببساطة: «هذه إحدى حسنات الثراء. لا داعي لأن تنفعلي وتحاولي إخفاء الأمور عني كلما حاولت اكتشاف أمرٍ ما. يمكنك أن

تسترخي وتتصرفي بهدوء».

لامست الطائرة الأرض واتجهت نحو المبنى، بينما جلست بايج وقد ظهر عليها الغضب. أنهى مارك كلامه بملاحظة ساخرة: «أنا واثق أن لا شيء كان سيقنعك بإخباري أنك تركت عملك بسبب رفضك إقامة علاقة مع رب العمل».

- كيف علمت...؟

انتشر اللون الأحمر الداكن فوق وجنتيها: «لا تتجرأ على القول إنني أنا من أخبرك؟».

- حسناً! لن أفعل... حتى إن ذلك ليس صحيحاً. أراهن على أنه تساءل لاحقاً ما الذي دهاه كي يحاول إجبارك على إقامة علاقة معه.

قاطعته قائلة: «لم يحظَ بالفرصة. منذ المرة الأولى التي حاول فيها التقرب مني قلت له إنني سأتقدّم بشكوى ضده إن قام بذلك مرة ثانية».

ظهر اللون الأحمر فوق وجنتيها من جديد. لقد شعرت لأسابيع طويلة أنها وسخة، وكأن لمسات ذلك الرجل قد دنّستها.

- ألهذا قام بطردك؟

أبعدت بايج نظراتها بتوتر وهي تحاول تنظيم أفكارها، ثم قالت: «وضع اسمي على لائحة الموظفين الفائضين، أي أنني أول موظف يتم الاستغناء عن خدماته، وكانت تلك سنة سيئة على المزارعين، لذا لم يبقَ في الشركة عمل كافٍ لي... في الواقع، شعرت بالسعادة حين غادرت».

لكن لو أنها عرفت كم سيكون من الصعب إيجاد وظيفة أخرى، لربما حاربت بكل قوتها كي تبقى في عملها.

قال مارك يناقض نظراته المتفحصة: «نشر في المدينة خبراً مفاده أنك موظفة طمّاعة، وأنك كنت تطالبين بزيادة أجرك عن طريق التهديد».

حدّقت بايج إليه بغضب وانفعال، وقالت: «تهديد؟ عن أي تهديد تتكلّم؟».

- بحسب رواية رب عملك، فقد قلت له إنك ستتهمينه بالتحرّش

الجنسي إن لم يزد لك أجرك.

تكلّم مارك بصوت استفزازي وعملي جعل الشعر في مؤخرة رقبتها يقف بسبب انزعاجها، فيما تباطأت سرعة الطائرة وهي تستعد للتوقف. قالت بايج بصوت خفيض: «إذاً، لهذا السبب تعثّر حظي لإيجاد وظيفة أخرى... كان عليّ وضع حد له».

- لِمَ لم تفعلي؟ لم تكوني المرأة الأولى التي تتعرض لتحرشاته الدنيئة. كان يجدر بك أن تدركي أنه سيضايقك من جديد، فالأوغاد مثله لا يستسلمون بسهولة.

شعرت بايج بالقلق لأنها أخذت تثق به أكثر فأكثر. قالت له مدافعة عن نفسها: «لم يكن لدي سوى كلمتي مقابل كلمته، وهو شخص معروف في نابير، لذا خشيت ألاّ يصدّقني الناس. لكن كيف اكتشف التحري الخاص بك هذه الأمور؟».

- طرح بعض الأسئلة على امرأتين أخريين تركتا المكتب نفسه بسرعة أيضاً. الأولى كانت تعمل قبلك.

وقفت الطائرة بنعومة، فوقف مارك وهو يقول: «الأمر لم يعد هاماً على أي حال».

وحين نظرت نحوه بتعجب، رمقها بنظرات باردة وبابتسامة غير رحومة جعلتها تشعر كأن الجليد قد غطى عمودها الفقري، ثم قال لها: «شركته تعلم الآن ما الذي كان يفعله بالضبط. لقد أعطته فرصة أخيرة للحفاظ على عمله، شرط أن يبقي يديه بعيدتين عن النساء وتم إجباره على عدم ترويج المزيد من الإشاعات عنك. لا أعتقد أنك ستواجهين المزيد من المشاكل في إيجاد عمل حين تعودين هذه المرة».

ذهلت بايج من كلامه، لكن صوت الطيار عبر المذياع أوقف الكلمات الحادة التي أرادت قولها. أعلن الطيار قائلاً: «ها قد وصلنا إلى كريكاري الاستوائية الجميلة. إنها المدخل إلى جزر الخليج. أتمنى أن تكونوا قد أمضيتم رحلة هادئة».

ظهرت ابتسامة صغيرة على فم بايج، وقالت: «يا للصدف المضحكة! لو أنني لم أنزل على درج الفندق في اللحظة التي استدرت فيها نفسها، ما كنت لتعرف بأنني أعيش في نابير».

بدت عينا مارك هادئتين، تماماً كتعابير وجهه الرائع حين قال لها: «نيوزيلندا ليست كبيرة جداً. كنت سأجدك بالتأكيد».

ثم ابتعد كي يسمح لها بالعبور نحو الممر. شيء ما في صوته جعلها تشعر بعدم الارتياح.

فتحت لها المضيفة الباب وهي تهز رأسها باحترام، فيما خرجا نحو أشعة الشمس والهواء، اللذين لم تقدر رائحة الوقود التي انتشرت من الطائرة على إخفاء سحرهما.

تحاشت بايج النظر نحو مارك. فكّرت أن هنالك فرقاً كبيراً بين أجواء نابير وأجواء هذا المكان. هنا الهواء أنقى والجو أكثر إشراقاً، كما أن المكان يضج بالحياة أكثر مما توقعت. عكس العشب الأخضر الأضواء حولهما وهما يمشيان نحو المروحية حيث ينتظرهما طيّار آخر. لكنهما لم يكونا بحاجة للطيّار، فالمروحية لمارك، لذا قام هو بقيادتها نحو الجزيرة. بعد قليل هبطا فوق أرض تبعد مئات الأمتار عن المنزل.

يقع المنزل خلف حديقة رائعة، على ضفة شاطئ ينساب على شكل هلالي. فيما هما يهبطان لاحظت بايج وجود ملعب لكرة المضرب وحوض للسباحة، كما لاحظت وجود يخت ضخم راسٍ على الشاطئ وإلى جانبه زورق آلي. إنها جنة تابعة لرجل ثري! حاولت بايج أن تتنفس بسرعة لتحافظ على اتزانها وعقلها كي لا تصاب بانفعالات قوية. هي تعلم أن مارك يملك هذا كله، وهذا المنزل مجرّد واحد من منازله الكثيرة!

أطفئ المحرّك وأدركت بايج أن مارك يلتفت نحوها. عبر الصمت الذي ساد حولهما قال بنبرة رسمية: «أهلاً بك في منزلي».

تصرفاته البالغة التهذيب جعلتها تشعر بخجل غريب. قالت: «شكراً لك».

إنه أمر سخيف! لا شك أن الترحيب الرسمي هو مجرّد لباقة تقليديّة منه، فمارك رجل غير وفي وهو ناكث للعهود. لا شك أن عشيقته التي جعل وجودها حياة جولييت تتعثر موجودة في المنزل الآن.

بدأ حجم المنزل يكبر وهما يتجهان نحو الحديقة المحيطة به. حاولت بايج المحافظة على هدوئها ورصانتها. رفضت التصرف كمغفل يراقب كل ما حوله بذهول.

لم يكن المنزل في الداخل مصمماً بشكل غير متناسق. فرغم اتساعه بدا دافئاً ومرتباً بشكل لطيف، ما جعلها تشعر كأنها في منزلها. بعد أن تم تعريفها على مدبرة المنزل، وهي امرأة في منتصف العمر تدعى روز أوليفر، أرشدتها تلك المدبرة إلى غرفتها المطلة على الخليج.

نظرت بايج إلى السرير الواسع المغطى بشراشف بيضاء. بدت الجدران البيضاء متميزة بأناقتها، وقد علق على أحدها كيمونو ياباني تقليدي من الألوان الأسود والبني والأزرق. على جدار آخر فوق السرير تماماً علّقت لوحة ثلاثية الأبعاد تلتمع كالجواهر في الغرفة الجميلة، تمثل منظراً طبيعياً مؤلفاً من جبالٍ وأنهار. باستثناء الإناء القرميدي اللون الذي زرعت فيه شجيرة مزهرة لم يكن هناك الكثير من الديكور، إلاّ أن الجدار الخشبي الذي يمكن الخروج منه نحو شرفة جميلة أعطى الغرفة رونقاً مميّزاً.

قالت المدبرة وهي تشير إلى باب في الحائط: «خزانة الثياب هنا، هل تودين أن أضع ثيابك فيها؟».

حاولت بايج أن تبدو هادئة وقالت: «لا! شكراً».

آخر ما أرادته هو السماح لشخص معتاد على توضيب ثياب الأثرياء أن يرى ثيابها الخاصة.

بعد أن دلّتها على الحمام قالت السيدة أوليفر: «أنا واثقة من أنك تريدين الاستحمام. سأناديكِ بعد ساعة. هل يلائمك ذلك؟ إن احتجت لأي شيء لا تتردّدي في الاتصال بي».

ثم أشارت نحو الهاتف الموضوع على الطاولة قرب السرير، وتابعت تقول: «الأرقام مدوّنة هناك».

ثم ابتسمت، وغادرت الغرفة.

الجميع هنا مهذبون ودودون! فكّرت بايج بذلك وهي تدخل إلى الحمام الكبير، غطى مساحة كبيرة من الحمام مغطسٌ أنيق، وقد سطعت أشعة الشمس عبر أشجار النخيل من النافذة الكبيرة على الرخام ذي اللون العاجي. جذبتها الرائحة العطريّة نحو الصابونة فرفعتها وتنشقت رائحتها، ثم وضعتها من جديد في مكانها وابتسمت. الصابون الذي أحضرته لنفسها جيّد. ربما يبدو تفكيرها سخيفاً إلا أنها لم تشأ استخدام تلك الصابونة العطرية الرائحة. إن استخدمت الصابون الذي اشتراه مارك بأمواله ستشعر كأنه يشتريها.

قالت لنفسها في المرآة إنها يجب على كل حال أن تستمتع بقدر ما تستطيع!

ترددها لم يصل إلى درجة عدم استخدام مجفف الشعر الذي اشتراه مارك بأمواله أيضاً!.

بعد الاستحمام ارتدت بنطلوناً أخضر بلون الزيتون وقميصاً من اللون الأحمر الجميل. ألقت نظرة أخيرة على مظهرها في المرآة، ولاحظت أن البنطلون يبدو واسعاً قليلاً على خصرها، فعبست وأخرجت القميص كي تضعها فوقه. ما إن أصبحت جاهزة حتى سمعت قرعاً على الباب.

نظرت إلى ساعتها... لا تزال هناك عشرون دقيقة على الموعد الذي ذكرته لها المدبرة... فتحت بايج الباب، وجمدت الابتسامة على وجهها حين رأت من الذي يقف أمام باب غرفتها...

٦ - عناق تحت المطر

كان مارك قد غيّر ثيابه أيضاً، فارتدى بنطلوناً يظهر عضلاته القويّة وقميصاً رياضية أدكن قليلاً من لون عينيه. بدا ضخماً وجذاباً جداً.

راح قلب بايج يضرب بسرعة، وابتلعت ريقها بصعوبة كي تحرّك أنفاسها التي علقت في حنجرتها.

-آه... ! ظننتك السيدة أوليفر، مدبرة المنزل.

راقب مارك وجهها وقال: «هل تودين القيام بجولة قبل الغداء؟».

- شكراً لك.

أرادت أن تسأله عن تركة جولييت، لكنها خشيت أن تبدو طماعة. عوضاً عن ذلك مشت إلى جانبه نزولاً نحو القاعة الواسعة، وخرجت معه إلى الشرفة الأمامية للمنزل.

عليها الاعتراف أن مارك يجيد استقبال الزوار. بلياقة واحترام أراها الحديقة التي تقع بين المنزل والشاطئ. إنها حديقة استوائية خيالية، أذهلتها بألوانها النابضة بالحياة وبشكلها وروائحها العطرة. في طريق العودة إلى المنزل مرّا بملعب كرة المضرب، فسألها مارك إن كانت تجيد هذه الرياضة. قالت له: «كنت أمارسها في الماضي، لكن ليس في الوقت الحاضر».

- ربما بإمكاننا أن نلعب معاً في وقتٍ ما.

قالت له من دون تعليق: «ربما».

ثم استدارت ونظرت نحو الخليج، وسألته: «هل هذان القاربان... أقصد الزورق واليخت لك؟».

- نعم. هل تحبذين الإبحار؟

- أحببت الإبحار حين كنت طفلة. كان والدي يملك يختاً.

عبس وقال لها: «سآخذك في نزهة يوماً ما».

تماماً كاقتراحه حول لعب كرة المضرب، علمت بايج أنه لا يعني ما يقوله. إذاً لماذا يقول هذه الأمور؟ غداً سيرحل بالتأكيد. إنه فقط يتصرف بتهذيب معها، وكأنها ضيفة حقيقية في المنزل وليست شخصاً اضطر لاستقباله من أجل وصية زوجته المتوفية... الزوجة التي قام بخيانتها.

سألته بصورة مفاجئة: «أين الصندوق الذي تركته جوليت لي؟».

للحظة، غطت عينيه رموش سوداء، ثم فتح عينيه ليظهر فيهما عمقاً أزرق لا يمكن فهمه، وقال: «سأرسله إلى غرفتك».

ثم أكملا طريقهما إلى المنزل بصمت.

قالت بايج: «إنه منزل رائع، دافئ ومشمس، والأفاريز ترد أشعة شمس الصيف القوية. أما الحديقة فسحرية ومذهلة».

راقب مارك وجهها ورأى فيه حزناً دفيناً، فأطلق في سره شتيمة فرنسية بسبب ما شعر به من حس الحماية تجاهها. على الأرجح أنه يشعر بذلك لأنها صديقة جولييت، ولأنها مرت بأوقات عصيبة بسبب ذلك الوغد الذي عملت معه، بالإضافة إلى أنها لم تتعاف كلياً من الإنفلونزا.

الرجل الذي يملك اعتزازاً بنفسه يواجه الحقيقة من دون مراوغة. صحيح أنه يشعر بالمسؤولية تجاه صديقة جولييت لأنها في مشكلة، لكن هذه الحاجة للاهتمام بها أمر لم يختبره من قبل. إنه لطيف مع النساء عادة لأنهن رقيقات وسريعات التأثر، لكنه لا يهتم للضعيفات منهن، بل يفضل أولئك اللواتي يعرفن كيف يهتممن بأنفسهن.

لكن بايج تغلّبت عليه، فقد جعلته يشعر بالاستياء لأنها تحبط كل محاولاته لمساعدتها. فالإصرار بادٍ على وجهها وفي كتفيها وفي ملامحها الناعمة وفمها الجميل. ورغم أنه يحترمها لتصميمها هذا، إلاّ أنه يود أن يقضي على التحدي والكبرياء اللذين تتميز بهما شخصيتها، ويجعلها

مضطرةً للاعتماد عليه.

بنبرة فظّة قال لها: «لابد أن الغداء أصبح جاهزاً».

قدّم الغداء على طاولة على الشرفة، حيث راحت الكلبة فاني تتجول بهدوء وسكينة. ومع كل لقمة من الطعام راحت بايج تسمع زقزقة عصفورين صغيرين يشدوان بفرح وحرية، ويطيران في الهواء الدافئ حولهما، وهما يصطادان حشرات غير مرئية.

حاولت بيأس السيطرة على توترها. قالت بإشراق: «يا لهذين العصفورين اللطيفين! من الصعب التفكير بأنهما صيادان ماهران أليس كذلك؟».

اتسعت ابتسامة مارك، وأجاب قائلاً: «جميعنا صيادون، مثلهما تماماً. نحن في الوقت نفسه فرائس لغيرنا».

ذهلت بايج من إجابته، ورفعت رموشها. كان يراقبها بعينين نصف مفتوحتين، فسرت في جسدها قشعريرة شعرت كأنها نار تلهب أوصالها. بدت نظراته حميمة كأنها تلامسها، ما جعل جسدها يشتعل بالحرارة. علا اللون الأحمر وجنتيها، ولم تستطع أن تفكّر بما ستقوله...

أخيراً تمكنت من الكلام، وقالت: «هذه نظرة مثيرة للاهتمام في العلاقات البشرية».

هزّ مارك كتفيه قليلاً وقال من دون لين: «إنها الحقيقة. فكّري برفيقتك في السكن».

- شيري؟ إنها ليست ضحية وهي بالتأكيد ليست...

- أرادت الحصول على المال من الرجال الذين يتفرجون على رقصها...

صوته البارد غير الحسّاس زاد من حدّة غضبها. تابع يقول: «وكلما حسّنت أداءها وزادت من حركتها وإيماءاتها، كلّما حصلت على المزيد من المال. وأظن أنها ستكسب المزيد حين تتقدّم في العمل».

قالت بايج بهدوء: «لن تفعل فهي راقصة فقط».

- إذاً فهي تقوم بأداء بارد... تقوم بإثارة أحاسيس زبائنها من دون أن تعطيهم الحنان والدفء والاحترام.

رمشت بايج بعينيها، ورمقته بنظرات خاطفة. يبدو هذا كلاماً غريباً من رجل لديه عشيقة. أتراه قدّم لجولييت الحنان والدفء والاحترام؟!

لم تستطع فهم شيء من تعابير وجهه الكامنة خلف عينيه الزرقاوين المراقبتين. قالت بنبرة متصلبة: «إنها تفعل من أجل برودي. من أجل تقديم الدفء والحنان والاستقرار له... لا أتصور أن الرجال الذين يذهبون إلى النادي يتوقعون منها ذلك».

قال وهو لا يخفي السخرية في صوته: «أقدّر وفاءك! لمَ لا تحترفين الرقص مثلها إذاً كي تؤمني لنفسك الاستقرار أنت أيضاً، فهي تكسب أكثر منك؟».

انقطعت شهية بايج للأكل، فوضعت الشوكة من يدها، ونظرت مباشرة في عينيه، وقالت له: «أنا بإمكاني القيام بأمور أخرى، وليس لدي طفل لأعيله. نشأت شيري في وضع عائلي مرعب، وانتهى بها الأمر في الشارع وهي في الرابعة عشرة من عمرها فقط. لكنها خرجت من هناك بإرادتها القوية، ثم تزوجت وهي واثقة أن زواجها سيدوم إلى الأبد. حين أخبرت زوجها أنها حامل هرب إلى أستراليا، تاركاً خلفه الكثير من الفواتير المسجلة باسمها. إنها لا تستمتع بالعمل كراقصة، لكن مشاريعها ومخططاتها تقضي بتحصيل ما يكفي من المال للاهتمام ببرودي وتأمين مستقبله».

قال بهدوء: «وهذا يجعل منها ضحية».

حاول مارك تغيير الموضوع فقال بنفاد صبر: «هيا! تناولي طعامك... مضى وقت طويل منذ الفطور، وأنت لم تتناولي أي شيء. لا بد أنك جائعة».

إنه محق! رغم أن بايج لم تقل ذلك، إلاّ أنها كانت جائعة فعلاً. فيما أنهت ما في صحنها من سلطة لذيذة أخبرها مارك عن الأسطورة

الأروهانية التي تتكلّم عن عاشقين قدّما حياتهما من أجل بعضهما.

هدأت أعصابها بشكل مؤقت بسبب أشعة الشمس وتناول الطعام، وعادت إليها رزانتها، وحين أنهى مارك كلامه علّقت بهدوء: «يا لروميو وجولييت الرومنسيين، على طريقة المحيط الهادئ!».

جاء جوابه مترافقاً مع ابتسامة ساخرة حين قال: «أنت لا تصدقين كلمة مما قلته».

- إن كان ذلك قد حدث فعلاً، فأنا واثقة من أنهما كانا يافعين جداً.

- أتقصدين أن الشبان والبسطاء فقط يعتبرون الحب أمراً يستحق الموت من أجله؟

استقام إلى الوراء في الكرسي، ولف أصابعه الطويلة حول كوب العصير، وتابع يقول: «قد تكونين محقة».

أدركت بايج بانزعاج أنه رغم هدوئه، فإن تركيزه منصب تماماً عليها.

فتحت فمها لكي تجيب، لكنها شعرت على الفور أنها أسيرة نظراته الساحرة فالتزمت الصمت.

- كم تبلغين من العمر؟ ثلاثة وعشرون...؟ بنظري أنت لا تزالين يافعة.

أنهى مارك ملاحظته فيما ظهرت التسلية على ملامحه. أججت الحرارة كيان بايج، ما جعل عقلها يتوقف عن التفكير، ولم تعد إلى الواقع إلا حين بدأت الكلبة بملاحقة فراشة، فأيقظها ذلك الصوت المألوف من غفلتها. أبعدت نظراتها عنه، وقالت: «إن كان من السخرية التفكير أن الحب هو عبارة عن مشاعر مبالغ في تقديرها، فأعتقد أنني ساخرة».

ارتفع حاجباه فوق عينيه المندهشتين، لكنه قال باعتدال: «أنا أوافق تماماً معك على أن الحب هو عبارة عن مشاعر يبالغ في تقديرها».

حسناً! إنها تعلم ذلك... فلماذا ينعصر قلبها بألم بهذا الشكل إذاً؟ قالت له: «يا للدهشة! هناك قاسم مشترك بيننا».

ثم عضت على شفتها.

هزّ رأسه وقال: «من المفترض أن والديّ أحبا بعضهما، لكن كل ما أتذكره عنهما هو صوت خلافاتهما ثم صمتهما».

التفتت بايج إلى الطاولة وقد التمعت شفرة أحد السكاكين بسبب أشعة الشمس، وقالت له: «والداي لم يتشاجرا كثيراً... أمي لم تكن لديها فكرة... اعتقدت أنهما يعيشان زواجاً رائعاً إلى أن عدنا من الرحلة إلى عالم ديزني لنجد أن والدي يعيش مع سكرتيرته. أعتقد أنها لهذا السبب لم تتخطّ الأمر يوماً».

في اللحظة التي قالت فيها تلك الكلمات تمنت لو أنها لم تتكلّم. شعرت بارتجاف في داخلها وهي تنتظر ردّة فعله. قال: «لا شك أنك مررت بأوقات عصيبة».

- أنت تعلم أن ليس هناك طريقة سهلة للتعامل مع كارثة كهذه، لكني تدبّرت أمري.

قالت ذلك باختصار وهي تأخذ فنجان قهوتها منه.

عندها قال لها: «لكن أمك لم تفعل».

ذهلت بايج ونظرت في عينيه الثابتتين وقالت: «يبدو أن التحري الخاص الذي وظفته قد حظي بالكثير من المعلومات عني».

قال من دون أن يبدو منزعجاً على الإطلاق من قساوتها: «اشربي القهوة... لمَ لا ترتاحين لساعة بعد الانتهاء من القهوة؟».

في غرفة نومها قررت بايج أن مارك رجل بارع. لقد تمكن بطريقة لائقة أن يتخلّص منها... حتى إنها صدّقته... إلى أن أصبحت حرّة. وغير خاضعة لسيطرة وجوده برفقتها.

استلقت على السرير وحاولت تصفية ذهنها، لكنها بقيت تستعيد الحوار الذي جرى حول طاولة الغداء. لقد قالت له الكثير من الأمور وكشفت الكثير، وهذا ليس ذكاءً منها. لقد أصبح لدى مارك نقاط يستغلها تجاهها، لأن كل ما تعرفه عنه هو طريقته الأوروبية لإدارة حياته

العاطفية.

حسناً، لا! أصبحت تعرف الآن أن زواج والديه لم يكن سعيداً. هل تعمّد إخبارها؟! إنه رجل يسيطر كثيراً على شخصيته.

فجأة وجدت نفسها تعيش أحلام اليقظة حول مشاهد عاطفية تسللت إلى عقلها. وقفت على قدميها ومشت عبر الغرفة لتطل من النافذة نحو المساحات المغمورة بأشعة الشمس، لكنها عبست حين وجدت نفسها تطلق العنان لمخيّلتها من جديد.

إن إطلاق العنان والتفكير بمارك كحبيب لها لن يجعل منه ذلك الحبيب الذي سيطير بها نحو النجوم، هذا إن فكّر أصلاً بها.

تمتمت لنفسها قائلة: «على كل حال هذا لن يحدث أبداً».

ثم عادت إلى السرير. مارك رجل لديه خبرة مع النساء، ولا شك أن حبيباته هن من ذوات الثراء والأناقة، على العكس منها. أجبرت نفسها على التفكير بأشياء أخرى مثل التفكير بأنها حين تعود إلى نابير قد تجد عملاً ما... شيئاً فشيئاً... وبينما أخذت الشمس تغيب عن الجزيرة، غرقت بايج في النوم، وتسللت رغباتها إلى أحلامها. أيقظها ضجيج مزعج أعادها إلى الواقع، وأخرجها من بين ذراعي مارك. توجهت نحو الباب لترى من الطارق وهي لم تستيقظ تماماً بعد، وتحاول إخفاء تثاؤبها.

حين فتحت الباب، نظر مارك إلى وجهها مقطباً حاجبيه. سألها بسرعة: «هل أنت بخير؟».

عاد اللون إلى بشرتها وأعطاها شعوراً بالحرارة. لم يكن جسدها فقط يشعر بالتوعك، بل إن بشرتها بدت متجعدة وشعرها متشابكاً حول وجهها. قالت له: «أنا بخير».

ثم أضافت بشجاعة: «بخير بالنسبة إلى شخص كان القراصنة يلاحقونه منذ لحظات!».

في الواقع إنه قرصان واحد!

ما الذي دهاها لتقول ذلك؟ رفع مارك حاجبه بتساؤل، ما جعلها

تشعر أنها غبية، لكن رغم ذلك لم تستطع إبعاد عينيها عن وجهه. شيء في داخلها تحطّم إلى شظايا صغيرة، وعلمت أنها لن تستطيع جمعه من جديد وإعادته إلى ما كان عليه سابقاً. اعتقدت أن ذلك الشيء الذي تحطّم هو استقلاليتها الثمينة... وحين فهمت ذلك الإنذار تراجعت خطوة إلى الخلف نحو الغرفة.

قال مارك: «إذاً، من الجيد أنني أيقظتك».

لكن شيئاً ما تغيّر. أصبح صوته أكثر عمقاً، وسيطر اللون الداكن على عينيه أكثر.

- أنا... نعم سوف أغسل وجهي.

بعد أن قالت تلك الكلمات، ساد الصمت بينهما إلى أن هزّ مارك كتفيه وقال بهدوء: «بالطبع! سأكون على الشرفة في الخارج، فكّرت أنك تودين التنزه في التلال خلف المنزل».

حاولت بيأس أن تتجاهل النبرة الحميمة التي يتكلّم بها، فهزّت رأسها. أرادت القيام بتمرينات قاسية لتحرق الأدرينالين الزائد الذي ينبّه كل خليّة في جسدها.

تسلق أحد الجبال سيكون أمراً مثالياً، لكن التنزه غير كافٍ. خطت خطوة إلى الخلف، وقالت: «أحتاج إلى دقيقة فقط».

ثم أغلقت الباب.

حين اختفى مع سحره الأخاذ أصبح عليها أن تواجه كل ردّة فعل إيجابية شعرتها تجاهه وتجاه الفخ الذي ينصبه لها... فخ الحب. غسلت بابج وجهها وأخذت نفسين عميقين قبل أن تنضم إليه.

توقفت عند مدخل المنزل أمام الشرفة ودقات قلبها تتسارع.

بدا مارك طويل القامة، وقد وقف وهو يضع يديه في جيبيه، ويلقي كتفه على احد الأعمدة فيما الكلبة فاني تجلس قربه.

بما أنه كان يدير ظهره نحوها، سمحت لنفسها بمراقبته، تأملت ثيابه غير الرسمية ذات التصميم المميز والتي تظهر قوّة عضلاته. إحساس غريب

هزّها فجأة، وحرّك أعصاب معدتها.

تحرّكت نحوه وهي تنظر باتجاه بعض الغيوم التي تتجمّع فوق التلة البعيدة، وقالت: «أهذه أمطار قادمة على الطريق؟».

أخرج مارك يديه من جيبيه، ووقف مستقيماً ليراقب الغيوم عند الأفق، ثم وجه انتباهه نحو التلال، وهو يقول: «المطر يتحرّك ببطء، لذا فهو لن يقلقنا. في معظم الأحيان لا تؤثر هذه الغيوم على الخليج. هل تكفيك ثيابك هذه لتشعري بالدفء؟».

أكثر مما تتصور! في الواقع إنها مليئة بالحرارة بسبب عدم شعورها بالارتياح لقربه منها.

الضيوف الذين يستقبلهم عادةً في هذا المنزل لا يرتدون ملابس عادية ورخيصة كثيابها، لكن مارك لم يعطِ أي ملاحظة أو تلميح عن الأمر. لا شك أنه يدرك أن القميص والبنطلون القطنيين اللذين ترتديهما لا يقارنان بثياب تلك المرأة الأنيقة التي رأتها معه في نايبر.

- أنا لا أشعر بالبرد.

خالج بابج شعور بعدم الانتماء إلى المكان، جعلها تتحرك نحو حافة الشرفة.

بعد أن يغادر مارك الجزيرة سوف تمضي بضعة أيام بمفردها محاولة حفظ معالم هذا المكان في مخيّلتها. أرادت أن تستمتع برؤية أشجار النخيل في نيوزيلاندا وكذلك الشجيرات الصغيرة. شعرت بالحماس لرؤية العصافير تطير فوق أزهار الجنة بألوانها البرتقالية والزرقاء حول شجرتين ضخمتين في الحديقة. قالت تحدثه: «أعتقد أنك إن أردت العيش في هذه الجزيرة فعليك أن تكون على معرفة بأحوال الطقس».

- لم يعد الأمر صعباً كالسابق، فقد أصبح هناك آلات لقياس الطقس، كما أن الأرصاد الجويّة المحليّة بارعة في التوقعات.

أشار لها بيده نحو الممر وقال: «تفضلي من هنا!».

ما إن بدأ بالمشي والكلبة تمشي أمامهما، قال مارك بطريقة قريبة إلى

السخرية: «الأرض هنا شديدة الانحدار، وسوف تساعدنا على التخلّص من التوتر الذي أصابنا بسبب عدم الحركة طيلة النهار».

زاد التوتر في أعصابها، وفكّرت أن توترها بالذات لم يكن سببه قلة الحركة. قادهما الممر إلى باحة مليئة بالأشجار المرتفعة ثم نحو تلة مكسوة بالشجيرات الصغيرة.

أحبّت بايج التقدّم إلى جانب الجدول الصغير الذي أعطى صوت تدفقه فوق الصخور وقعاً موسيقياً. الأشجار توزعت بكثافة في المكان، فبدا كلوحة من الأشجار الداكنة الضخمة.

- رائحة المكان شهية ونقيّة.

آه... ! رائع... ! كوني سخيفة بقدر ما تستطيعين! لو كانت المرأة التي رأيتها في نايبر معه لعرفت كيف تسلّيه بأحاديث مشوقة. أضافت وهي تنتقل من حجر إلى آخر بينما قفزت فاني عبر المياه: «الأخضر هنا رائع، والمكان قديم».

كان مارك خلفها تماماً، فقال لها: «لم يتم قطع هذه الأشجار مطلقاً... لذا يبلغ عمر بعضها قروناً عديدة».

ركّزت بشدّة لتثبّت إحدى خطواتها... بالطبع لقد أبقى نظره عليها... لم يكن قد بدأ يلهث خلال عشر دقائق كما توقعت. شعرت بايج بالرضى لأنه لم يحاول التكلّم، وقد بدا سعيداً بتسلّق التلّة بصمت باستثناء بعض التوجيهات والملاحظات التي وجهها للكلبة.

أطلّت أشعة الشمس من بين الغصون الغضة على شكل خيوط ذهبية مضيئة. أخذت بايج نفساً عميقاً وأبطأت تقدّمها قائلة: «آه... انظر!».

ثم أشارت نحو خيط من الضوء يشعّ فوق نباتاتٍ بنفسجيّة اللون، لكن سرعان ما اختفى الضوء وكأن أحدهم أطفأه، فانقلب اللون الأخضر الهادئ إلى كآبة مظلمة صامتة ومخيفة.

قالت بايج: «هل الغيوم...؟».

- اصمتي!

فعلت بايج مثله تماماً وتوقفت عن المشي، ثم لحقت بنظراته العابسة نحو السماء التي ظهرت فجأة سوداء اللون من بين أوراق الشجر. فوق صوت تنفسها الناعم سمعت عصفوراً يصرخ بصدمة قويّة كاسراً الصمت المسيطر. صرخته أجفلت فاني فالتصقت برجلي مارك.

- إنه الرعد، كان يجدر بي توقع قدومه.

قال مارك ذلك وهو يشعر بالغضب من نفسه.

الغمغمة القادمة من بعيد أذهلتها لكن ليس بقدر اليد التي استلقت فوق كتفها. اشتد الضغط بد مارك حين أدارها وحثّها على الإسراع في طريق العودة، وهو يقول: «الريح تشتد بسرعة ونحن فوق أعلى تلّة وتحت الأشجار... لذا فنحن نشكّل هدفاً ممتازاً لوميض البرق المفاجئ. فان... هيا!».

بات صوت الرعد أقرب الآن، مؤكداً تحذير مارك. شدّ أصابعه على كتفها ودفعها إلى الأمام وهو يقول: «أسرعي».

راحت بايج تركض وهي تشق طريقها، بينما اقترب الرعد أكثر فأكثر، وبدأ الضوء يختفي تدريجياً.

رغم أنها كادت تتعثر مرتين، إلاّ أنها حافظت على توازنها. كان بإمكان مارك الإسراع أكثر منها، لكنه بقي أمامها تماماً لتتمكن من الاستعانة به إذ ما زلت قدمها. فكّرت بايج أنه رجل يمكن الاحتماء به، وحاولت خنق شعور دافئ تحرّك في منطقة سرية من قلبها. هذا لا يعني شيئاً... هذا ما هو عليه الرجل!

منذ ما قبل التاريخ على الرجل أن يكون جاهزاً ليدافع عن امرأته في وجه الحيوانات والبشر الآخرين. إلاّ أنها ليست امرأته.

بدأ الفرح والابتهاج فجأة يكبران في قلبها. شيء ما أكّد لها أنها لن تنسى مطلقاً هذه اللحظات المجنونة وهما يركضان نزولاً فوق الأرض المبللة. مرور الوقت لن ينسيها رائحة الأرض الرطبة المغطاة بالأوراق ولا منظر فاني وهي تركض أمامها وشعرها الذهبي يطير وأذنيها ترتفعان

وتهبطان بسرعة. لن تنسى مارك وهو يتحرّك بصمت وقوّة مسيطراً على تحركاته كالرجل الصياد.

التفت من فوق كتفه وقال: «هل أنت بخير؟».

آه... ! ليست فقط بخير... إنها غبية ومجنونة!

- نعم بخير.

حاولت التفكير بأمور مختلفة عن هذه الأفكار الغريبة، فبدأت ترصد الوقت الفاصل بين البرق الذي أخذ يضيء الأشجار والرعد الذي يترافق معه. قال مارك عبر الصمت: «نحن محظوظان. هيّا حافظي على تقدّمك... سنصل قريباً».

حين وصلا إلى بعد بضع مئات الأمتار عن الحديقة أمسك بيدها، وسحبها نحو شجيرات صغيرة ذات أغصان متشابكة وأوراق كثيفة، تشكّل مظلة طبيعية فوقهما.

- ستقينا هذه الأشجار من الأمطار.

اعترضت بايج قائلة: «قد نصل إلى المنزل قبل هطول المطر».

- ليس قبل أن تتبللي كليّاً، فهذا المطر يبدو بارداً جداً.

بالطبع! لقد انخفضت الحرارة بشكل ملحوظ.

- لست مصنوعة من السكر!

التمعت عيناه بظلمة شديدة، وتأمل وجهها بعمق، ثم قال بصوت عادي لا يوحي بشيء شخصي: «المطر أمر والسيل أمر آخر. السيل الجارف قد يتسبب بقتلنا».

لم يكن باستطاعتهما رؤية العاصفة عبر الأشجار الكثيفة، إلاّ أنهما شعرا بوجودها حولهما، لاسيما من خلال الرياح التي أخذت تقترب أكثر فأكثر منهما.

أخذ البرد يتسلل إلى داخل بايج، فقضى على الدفء والحرارة اللذين شعرت بهما وهما يصعدان نحو التلة. اصطكت أسنانها على بعضها، ولم تعد تستطيع التوقف عن الارتجاف. دفعها مارك لتقف خلفه ليحميها من

العاصفة القوية، وقال: «العاصفة قادمة».

بدأ المطر ينهمر محدثاً فوضى عارمة بسقوطه فوق الأوراق، حتى إنه غطى بصوته القوي الثقيل على أصوات الرعد، وحوّل الضوء الخفيف إلى عتمة حالكة. وقف مارك بصلابة بوجه العاصفة، فيما استلقت فاني بمحاذاة قدميه تماماً.

رغم البرد والرطوبة إلاّ أن الشعور بالنشاط والخفة بقي مسيطراً على بايج. فتشت بتعثّر عن أفكار آمنة لتشغل ذهنها، مستحضرة مختلف الأسباب التي عليها تذكرها لعدم الثقة بهذا الرجل. لكنه رغم ذلك جعل من جسده حاجزاً بينها وبين العاصفة. وبسبب قربه الشديد منها راحت دماؤها تتسارع في شرايينها مرنمة أغاني الفرح، بينما أصبح جسدها محباً للحياة، متحمساً لها.

فكّرت أنها ستتذكر هذه اللحظات حتى فوق سرير موتها، إلاّ أن تلك الفكرة أربكتها، فحاولت دفعه عنها وهي تقول بصوت أجش: «لحقني البلل هنا أيضاً... لذا أعتقد أن من الأفضل أن نتابع سيرنا».

استدار مارك نحوها. أمسكها من خصرها، وهزّها بينما جذبها نحوه بعنف، ثم قال بقسوة: «لا تكوني غبية! إن السيل قوي جارف الآن، لكنه سيتوقف في غضون دقائق لذا...».

وقعت الكلمات في صمت غير حقيقي... صمت يرافقه إدراك قوي سحري. فكّرت بايج في قرارة نفسها: لن أنظر إلى الأعلى... لن أنظر...! لكنها فعلت... ونظرت مباشرة في عينيه الزرقاوين الناريتين.

قال شيئاً باللغة الفرنسية لم تتعلمه بايج في المدرسة، ما جعلها تشعر كأنه بذل مجهوداً قويّاً كي يتمكن من تركها. لم تتراجع إلى الخلف... لم تستطع فعل ذلك، بينما رعدت السماء وأبرقت فوقهما، هدرت بقوة. شعرت بالخوف وتلفظت بكلمة واحدة...

جاء صوته قاسياً عميقاً وهو يجيبها بلهفة: «إنها المرة الأولى التي

تلفظين فيها اسمي، بايج».

اسمه هو مجرّد اسم عادي، لكنه بدا في تلك اللحظات إشارة إلى حاجتها القوية إليه وإلى الحماية التي يوفرها لها. لكنه انتظر... بدت عيناه ساكنتين وهو يتأمل وجهها. ما الذي يفعله؟ هل يطلب منها القيام بالخطوة الأولى؟

وقعت حبّة مطر فوق شفتها، فرفعت يدها كي تمسحها. وفي اللحظة التالية أحاطتها ذراعاه القويتان، وضمتاها إلى جسده الضخم بسرعة أطاحت بما تبقى من قدرتها على تمالك نفسها. خلال اللحظات التالية، تلاشت قدرة مارك على السيطرة على نفسه، فراح يعانقها بشغف وعمق. تبادلا العناق كأنهما حبيبين التقيا بعد فراق طويل، بل كأنهما عاشقين تبادلا من قبل العناق آلاف المرات، أو كأن عناقهما هذا سيكون العناق الأخير...

٧ - عينان تحرقان

عندما حاول رب عملها معانقتها، ابتعدت عنه بسرعة وأمطرته بوابل من الشتائم. أما الآن، حين فعل مارك الأمر نفسه، فتحت ذراعيها له بسعادة، وضمته إليها وهي تشعر بحاجة يائسة له. قصف الرعد من جديد في أذنيها، وراح قلبها يضرب بسرعة.

أدركت بايج وهو يعانقها، أن هذا ما أرادته من اللحظة الأولى التي رأت فيها مارك... شعرت أنها بحاجة ماسّة إليه لا حدود لها ولا حواجز أمامها.

اشتدت ذراعاه حولها وقرّبها أكثر إلى جسده. كل ذرّة من الإدراك لديها جعلتها تفكّر بالتحرّر منه والركض عبر العاصفة نحو المنزل. لكن مشاعر أكثر قوّة تحدّتها للبقاء كي تكتشف ما الذي يجعل من مارك كوربيت الرجل الوحيد القادر على إثارة الاضطراب في كيانها.

مرر مارك إصبعه باضطراب على وجنتيها، ما جعل موجات من الكهرباء تسري في جسدها. انحبست أنفاسها في حنجرتها، فيما شعرت بالنار تحرقها بسبب لمساته. وعلى الرغم من أن البرق التمع تماماً أمام عينيها والرعد أطلق أصواته حولهما إلاّ أن الطبيعة لم تستطع خلق عاصفة مماثلة لتلك التي راحت تعصف في أعماقها.

رفع مارك رأسه، ونظر إليها بعينين ضيقتين: تحوّلت الحماوة في نظراته إلى برد قارس حين علا وجهها الرعب والذهول، بينما تلوّنت وجنتاها وتحوّلت ابتسامتها إلى تكشيرة تظهر احتقارها لذاتها. توقع مارك أن تقبل زوجته وجود عشيقة في حياته، أما بايج فبادلته العناق وهي تفكّر

www.elromancia.com

أنه حبيبها الوحيد والرجل الذي يمكنها أن تموت من أجله.

قالت من بين شفتيها المرتجفتين: «دعني أذهب».

تراجع على الفور، وسألها بنبرة متصلبة: «ما الذي ستفعله بشأن هذا الأمر؟».

تلوّن وجهها بخجل، ثم اختفى اللون. شعرت بالبرد والفراغ، وتبخّرت توقعاتها المبهجة بأكملها. هزّت رأسها وقالت: «لا شيء!».

مع أن صوتها لم يُسمع، لكنه فهم ما تقوله. توقعت أن يعترض ولو قليلاً، لكنها لم ترَ شيئاً سوى تلك الابتسامة القاسية التي ظهرت على زاوية فمه. بعدئذٍ قال بلباقة: «إذاً، من الأفضل أن نعود إلى المنزل، وننسى ما حصل. لقد توقف المطر وانتهت العاصفة».

بينما خرجت بايج من تحت الشجرة عادت أشعة الشمس لتملأ الفضاء من جديد.

من خلفها أتى صوت مارك وهو يقول بسخرية وثقة: «ستكون هناك عواصف أخرى، وأشك بأن ينسى أحدنا ما حصل».

قالت له بايج بقسوة: «لن تكون هناك عواصف».

ثم أضافت قائلة: «أما بالنسبة للنسيان، فلست أشك بأنك ستفعل ذلك بسهولة. بالنسبة إليك، النساء صالحات للاستهلاك السريع. أليس كذلك؟!».

وسرعان ما ندمت على تسرّعها بالتفوه بذلك الكلام.

مرّت لحظة صمت بينهما قبل أن يسألها مارك: «ما الذي تقصدينه بهذا الكلام؟».

- أنا واثقة بأنك تعلم ما أقصده.

- أؤكد لك أنني لا أعلم.

بدت نبرة صوته قاسية كالحديد، ثم تابع يقول: «اشرحي لي».

عضت بايج شفتها نادمة. لقد ثار غضبها في لحظة غير مناسبة. لو أنه

لم يرفع رأسه وينظر إلى وجهها، لتعاملت بمفردها مع الأحاسيس التي شعرت بها.

بإذلال كبير أحسّته في داخلها قالت له: «ببساطة، ما تريده في أي امرأة يمكنك أن تجده بسهولة، فالأمر لا يعني لك سوى لحظات من اللهو التي تمر بسرعة».

بدت ابتسامته ساخرة ولئيمة: «أحقاً؟».

قال ذلك ببرودة وعدم اكتراث، ثم اقترب منها من جديد وعانقها. أنهى عناقه هذه المرة بسرعة، لكن بايج استجابت لعناقه هذا بسهولة أيضاً. تمتم وقد بدا صوته مرتاحاً: «لحظات لهو؟».

مزقها الخجل تمزيقاً، وجعلها تشعر بألم رفضت مواجهته. لم تكن معتادة على اللعب بالمشاعر والأحاسيس كما يفعل البعض. أبقت رأسها مرتفعاً وهي تحاول تجاهل وجود ذلك الرجل الذي يسير بقربها.

- ما الذي يجعلك تعتقدين أنني أعتبر العلاقات مع النساء مجرد لهو؟ هل أخبرتك جوليت بذلك؟

الثلج في كلماته تسلل إلى أعصابها فقالت: «لست غبية كي أظن أن ليس بإمكانك الحصول على النساء بسهولة...؟».

بحثت بشدة عن الكلام المناسب، ثم تابعت: «...لأنك غني».

وافقها قائلاً بنبرة ناعمة كالحرير: «ربما! لكن الطمع ليس حكراً على النساء... هنالك بعض الرجال الذين يسعون أيضاً وراء النساء الغنيات. كما أنك تتهربين من السؤال».

وصلا إلى حدود الحديقة، وبشكل تلقائي فتح مارك البوابة، وتنحى جانباً ليدعها تمر قبله. تقدّمت بايج ببطء، كأنه نمر تمر بالقرب منه بحذر. قالت له بجدّية: «لا يحق لك طرح سؤال مماثل. الأحاديث التي جرت بيني وبين جوليت أحاديث خاصة».

قال بثقة: «إذاً، لقد فعلت».

انتظرته بايج بتوتر كي يضيف شيئاً على ذلك الاتهام، إلا أنه بقي

صامتاً، ومشى عبر الحديقة بجانب ملعب كرة المضرب.

أذهلها حين قال بنبرة موضوعية تخلو من المشاعر: «يبدو أن تصرف والدك سبب لك صدمة قوية، ثم جاءت قصة صديقتك شيري لتؤكد لك معتقداتك، لذا أنت مقتنعة أن الناس يستغلون بعضهم البعض».

اشتعل الغضب في عينيها، فيما كانت ما تزال تشعر بلهيب في بشرتها بسبب عناقه. قالت له: «سبق أن تكلّمنا عن هذا الموضوع».

- يفاجئني أنك تتقبلين طريقتها في إيجاد حل لمشكلتها المالية ولحياة ابنها.

أمسك بغصن مبتلٍ كي يدعها تمر من تحته، فوقعت عليها حبيبات المطر بسبب حركته.

رمقته بايج بنظراتٍ خطيرة وقالت بثبات: «إنها تقوم بما عليها فعله. النساء يكافحن من أجل البقاء... من أجل الحياة... وحياتهن ليست مليئة بالفرح والسعادة في معظم الأحيان».

- إذاً، لِمَ لا تعملين أنت أيضاً مثلها، فتذهبين للرقص في النادي؟

تصلبت بايج بسبب نظراته التي تنقلت من رأسها إلى كتفيها، ثم إلى جسدها كله حتى قدميها، لتعود فترتفع من جديد إلى وجهها.

وبنبرة فجة، قال بصراحة: «لديك جسد جميل، وأنت تتمايلين كالنسيم. لا شك أنك ستجنين المال كصديقتك إن احترفت الرقص».

عضت بايج على شفتها السفلى، وقالت: «هذه ليست الصورة التي أرى نفسي فيها».

- إذاً ما رأيك إن دفعت لك أجراً كي تبقي معي وترقصي لي... دعينا نقول لسنة، في نهاية السنة تصبحين حرّة؟.

فتحت بايج عينيها بذهول، وكادت أنفاسها تنقطع... لا يعقل أنه يعني... لا! بالطبع، لا يعني ذلك... قالت له: «لا تكن سخيفاً».

بنبرة صوت ناعمة ومليئة بالحزم، أنهى كلامه قائلاً: «المعانقات التي تبادلناها لا تعطي مدلولاً سخيفاً لاقتراحي. أعتقد أنه سيلزمنا عام على

الأقل كي نملّ من بعضنا».

جعل الألم حنجرتها تتصلب. لم يعد بإمكانها إلاّ السير إلى جانبه والاستماع إلى صوته الحريري القاسي الخالي من الإحساس، وهو يمزّق الأحلام التي لم تكن تعلم بأنها تحتفظ بها.

- بالطبع، حين نفترق سأحرص على إعطائك ما يكفي من المال لتقومي بإنشاء عملك الخاص. ستعيشين بأمان إلى أن يصبح عملك ناجحاً.

توقف قليلاً عن الكلام، لكنها لم تقل شيئاً، فتابع يقول وهو لا يزال يتكلّم ببرودة وتسلية: «كل ما عليك فعله هو البقاء معي ومرافقتي أينما ذهبت، وأنا أعدك أنني سأوفر لك كل ما تحتاجين إليه».

قالت بايج: «أنا لست امرأة ترضى بهذا النوع من العلاقات».

لم تجرؤ على النظر نحوه كي لا يظن ولو للحظة واحدة أنه قادر على إغوائها بعرضه هذا.

- أحقاً؟

توقفت عن التقدم، وأخذت تنظر إلى وجهه وعيناها تلتمعان في وجهها العاصف، ثم قالت: «لكنني لا أعلم ما كنت لأفعل لو كان لدي طفل! تعتقد شيري أن الرقص هو ما يمكنها القيام به. إنها حريصة على ألاّ يعيش برودي المعاناة التي عاشتها في طفولتها. إنها تعمل على تحسين وضعها بالطريقة التي تعرفها».

توقفت بايج عن الكلام وهي تشعر بالغضب بسبب تعابير وجهه البعيدة عن الليونة، ثم أنهت كلامها قائلة: «وأنت... أنت رجل متعجرف وضيّق التفكير».

لم تتغير تعابير وجه مارك، بل قال لها: «حسناً! يبدو لي أن إخلاصك لهذه الصداقة يتعدى حدود السذاجة. النساء أمثال شيري موجودات في مختلف الطبقات الاجتماعية. أولئك اللواتي التقيت بهن من قبل أكثر حنكة لكنهن بالإجمال لجأن إلى طريقة التصرف ذاتها كشيري».

شيء ما في صوته العميق لفت انتباهها، لكنها لم تستطع أن تقرر ما هو. أتراه يفكّر بعشيقته؟

حثت خطاها وهي تسير نحو المنزل قائلة: «من الجيّد لك أن تعيش مكانها لعام مثلاً، وستتعلم بعدئذٍ كيف تطلق أحكامك على الناس».

راقبها مارك وهي تسير بسرعة، وكتفاها ترتفعان وتهبطان، فيما غضبها غير قادر على إخفاء الرشاقة التي تمثلت في تمايل خصرها. كان ضوء الشمس منعكساً على شعرها جاعلاً لونه بلون العسل الداكن، وقد تشعّثت خصلاته بسبب لمسات يده وهو يعانقها، كما عكست بشرتها ذلك اللون العسلي اللطيف فتجلّى إشراقاً رائعاً.

سرت حرارة مرتفعة في جسده... حرارة بدت أقوى من برودة المنطق والوعي. كبت تنهيدة في صدره وحثّ الخطى ليلحق بها بخطوتين كبيرتين، ويسير إلى جانبها مجدداً.

البرودة التي سيطرت على تعابير وجهه جعلته يشعر بحذر صامت، وهو يقول بلطافة: «آه! لقد وصلت لورين. إنها مسؤولة تنفيذية في شركة كوربيت. في الواقع، رغم أنك لم تتعرفي عليها بشكل رسمي، إلاّ أنكما التقيتما من قبل، فقد كانت معي في نايير. كورين لديها اهتمام خاص بنيوزيلاندا».

راقبت بايج وقلبها يدق بسرعة تلك المرأة الطويلة وهي تمشي نحوهما. إذاً هذه هي المرأة التي دمّرت حياة جولييت. فهمت بايج لما تشعر هذه المرأة باهتمام خاص بنيوزيلندا... هذا الاهتمام سببه الرجل الذي يقف بجانبها. جرحها الألم بمخالبه الحادة، فأخذت نفساً عميقاً صامتاً وقوّمت عمودها الفقري، ثم رفعت ذقنها وقد أعطتها كرامتها المجروحة القوة لتبتسم وهي تتعرف على المرأة التي تكلمت عنها بسخرية لن تنساها أبداً.

تبين لها أن لورين بورتر الأنيقة تملك شيئاً أبعد من الجمال، وهو الذكاء والمعرفة واللباقة الاجتماعية التي ميزت معالمها الجميلة. وهي تملك الثقة نفسها التي يملكها مارك، وهي ثقة بالنفس جعلت بايج تقف

على سلاحها كي تدافع عن نفسها في أي لحظة. بدت شابة أكثر من مارك لكنها على الأرجح أصغر منه بعامين فقط. ما كانت جولييت لتملك سلاحاً يمكنه مواجهة امرأة كهذه!

بعد اللطافة التي تكلّم بها، تمكّن مارك ببساطة من السيطرة على مشاعره وإخفائها خلف قناع من اللياقة الاجتماعية. قابلت لورين بايج بابتسامة ودودة قائلة: «إذاً، ها نحن نلتقي من جديد. هل تستمتعين بزيارتك للجزيرة؟».

بدا صوت بايج حازماً، إلا أنه يعكس الفرح في الوقت نفسه وهي تقول: «نعم، كثيراً. شكراً لك».

وقبل أن تجيب المرأة الأخرى بأي كلام تدخّل مارك قائلاً: «نحن مبللان الآن... والفضل للمطر الذي انهمر علينا. دعينا ندخل إلى المنزل».

عادت بايج إلى غرفتها، فاستحمت وبدّلت ملابسها. تساءلت ما سرّ الابتسامة التي وجهتها لها عشيقة مارك. بدت... بدت لطيفة جداً. لكن لطيفة ليست كافية. لا شك أن خلف الجمال والسحر هناك أكثر من اللطف... هناك غرام ومشاعر متقدة.

رفعت بايج يديها لتلمسا خديها. أمسكت بهما جيداً علّها تخفف من حرارتهما.

إنه أمر سخيف... سبق أن عانقها أحدهم من قبل... ليس كثيراً! اعترفت لنفسها. فعندما مرضت والدتها ابتعد أصدقاؤها عنها. لا شك أن عدم خبرتها هي سبب استجابتها القوية لعناق مارك. قد لا يكون عناقه في الواقع أمراً مميزاً كما تعتقد.

ربما لكل الرجال هذا التأثير عليها. أجفلت بانزعاج وتذكرت رب عملها... حسناً! ليس جميع الرجال. بل فقط الرجل الذي تشعر بالانجذاب نحوه. أما بالنسبة لمارك... ففي المرة القادمة- إن كان هناك مرة قادمة- عندما تسبب لمساته بتفجير مشاعرها من جديد، سوف تذكر

نفسها على الفور بأنها لا تحبه ولا تثق به.

بدّلت بايج ملابسها وارتدت بنطلوناً بنياً وقميصاً بيضاء، وتساءلت بيأس من أين يعقل أن تكون لورين بورتر قد اشترت بنطلونها الأسود المصقول والبلوزة الحمراء المصنوعة من نسيج الصوف الناعم كالحرير.

نظرت بايج إلى صورتها في المرآة، وهزّت كتفيها. هي لن تستطيع مطلقاً منافستها! إذاً، لماذا عانقها مارك؟ ما الذي ستفكّر به لورين إن عرفت؟ أتراها لا تكترث إن كان لمارك حبيبات سواها؟

حسناً! لو أن مارك هو حبيبها ونظر إلى غيرها، فسوف تقتلع عيني...

- لا!

قالت ذلك لنفسها بينما وضعت يديها على جبينها.

ابتلعت بايج ريقها بصعوبة. وجهت نظرات تحذيرية إلى صورتها في المرآة قبل أن تخرج كي تواجه مارك. مشت بخطوات ثابتة نحو الغرفة التي قال لها مارك إنهما سيلتقيان فيها فوجدت المكان خالياً، لكن ليس لوقت طويل، فقد أتت مدبرة المنزل إليها.

قالت السيدة أوليفر من دون مقدمات: «أنا آسفة، لكن السيد مارك طلب مني أن أخبرك أن أمراً ملحاً في العمل طرأ عليه لذا لن يكون قادراً على تناول العشاء معك الليلة».

حاربت بايج غضبها وخيبة أملها، متظاهرة بالارتياح الكاذب، وقالت: «أتمنى ألاّ يكون الأمر سيئاً؟».

أجابتها السيدة أوليفر بثقة كبيرة قائلة: «سيتعامل مارك مع الأمر مهما كان صعباً! إنه يحب التحديات. هل أحضر العشاء لك إلى هنا؟».

أشارت إلى طاولة في زاوية الغرفة التي تتميز بالدفء والرفاهية.

- شكراً لك. هل تودين أن أساعدك؟

ابتسمت المرأة المسنة لها وقالت: «هذا لطف منك، لكنني لا أشعر بالارتياح بالعمل إن كان هناك شخص آخر معي في المطبخ. سيصبح

العشاء جاهزاً خلال ساعة تقريباً! في هذه الأثناء هل تودين مشاهدة التلفزيون أم فيلم فيديو؟ مارك يحضر أفلاماً جيلة؟».

- يبدو ذلك رائعاً.

بعد أن تناولت العشاء جلست في غرفة المسرح المذهلة وشاهدت فيلماً درامياً جيلاً لم يصل بعد إلى صالات نيوزيلاندا.

رفضت تناول القهوة أو الشاي آملة أن تنام الليلة في وقت مبكر. بعدئذٍ عادت إلى غرفتها وهي تشعر بأنها متروكة.

- هذا سخيف!

وبخت نفسها وأغلقت الباب خلفها. إذاً، لقد اعترف مارك أنه يريدها بقربه. لم يعطها ذلك سبباً لتشعر بالإذلال. بدا عناقه لها الديناميت. بطريقة ما تمكّن من تجاوز كل حواجزها والوصول إلى أجزاء مخبأة في داخلها.

على الرغم من أنها شعرت بالانجذاب إلى مارك، إلاّ أن ذلك كان مجرّد انجذاب حتي وليس حباً، لذا ليس هناك من سبب لتشعر أنها غبية تخشى من الخيانة. الحب يعني السخافة والاعتماد على الآخر والتضحية من أجله... أما الانجذاب فهو، ببساطة، حسّ جسدي، وهو أكثر أماناً من الحب.

استعدت بايج للنوم فيما دغدغت ذهنها بطيش فكرة العذاب الحلو كلما تذكرت اللحظات التي أمضتها بين ذراعي مارك. آه! لا يمكن لهذا الشوق الذي يعذبها أن يدوم إلى الأبد.

قالت لنفسها وهي خارجة من الحمام: «لا تكوني غبية! بدء حياتك العاطفية مع رجل متعجرف ظالم وخائن كمارك ليس بداية جيّدة».

خلال السهرة قامت مدبرة المنزل بتغيير أغطية السرير البيضاء، واستبدلت الوسادة بوسادة أخرى أوروبية الطراز. ووضعت بجانب زجاجة المياه صحناً كبيراً من الفواكه والمكسرات.

يبدو أن مارك يهتم بشكل واضح براحة ضيوفه. ما دام يقوم بتوظيف

أفضل الخدم، فذلك يعني أنه يعتبر الاهتمام بالضيوف أمراً طبيعياً.

حسناً! لماذا يبدو مصراً على تنفيذ وصيّة جوليت؟

التوت شفتها وهي تمشي عبر الغرفة. أكثر الأجوبة سخرية هو الجواب الصحيح؛ أدرك أنه جرح جوليت بخيانته لها، ووجد في تنفيذ وصيتها وسيلة لإراحة ضميره. وهذا لا يكلفه شيئاً... ولا حتى بعض الوقت لأنه، سيغادر غداً.

شعرت بألم في أنحاء جسدها بسبب التعب، فأوت إلى الفراش، وأطفأت النور، وهي تنتظر بنفاد صبر أن تغرق في النوم وتتوقف عن التفكير. لكنها بدلاً من ذلك أخذت تسترجع في خيالها عناقه المتلهف. تذكرت تأثير عينيه الزرقاوين اللاهبتين ولمسات يديه الحارقتين... امتلأ جسدها بالحياة... فتأهّبت، ووضعت رأسها فوق المخدة.

أجفلت حين سمعت صوت الهاتف إلى جانبها يرن بإصرار، فرفعت سماعة الهاتف وقالت: «نعم؟».

قال مارك: «فكّرت أنك قد تودين الاتصال بشيري لتطمئنيها أنك وصلت بخير إلى الجزيرة».

تحرّك الأدرينالين في جسد بايج كالبركان، وقالت: «أنا... الآن؟».

ساورها شعور كبير بالذنب. أرادت أن تسأله من قبل إن كان بإمكانها الاتصال بشيري، لكنها عادت وانشغلت بأفكارها وشؤونها الخاصة ونسيت الموضوع.

قال مارك بهدوء: «لم يتأخر الوقت بعد. سأصلك بها الآن».

فتحت بايج فمها لتتكلم... لكنها لم تعرف ماذا تقول... ثم سمعت الرقم يطلب بصورة آلية، وفي غضون ثوانٍ كانت شيري تقول: «نعم!».

- أنا بايج. كيف حالك؟

ارتاحت لتتكلم حين سمعت ضحكة شيري الناعمة التلقائية.

- كل شيء بخير هنا. وأنت... كيف حالك؟ كيف يبدو منزل

رجلك؟

- إنه ليس رجلي.

مازحتها شيري قائلة: «إنه يريد ذلك. أخبريني... ألم تبدءا بإقامة علاقة عاطفية؟».

قالت بايج باقتضاب: «ما من قاسم مشترك بيننا».

- أتقصدين لأنه غني وأنت فقيرة؟

بالإضافة إلى أمور عديدة أخرى، قالت بايج بخفة: «نعم. الآن أصبحت أعلم كيف تشعر السمكة وهي خارج المياه!».

قالت صديقتها باستياء: «هذا هراء! أنت جميلة وذكية، وهذا ما يريده أي رجل».

ضحكت بايج، لكن دعم شيري أعطاها دفئاً على الفور.

- شكراً عزيزتي.

تغيّر صوت شيري فجأة إلى صوت أمومي تحذيري: «رغم ذلك، ابقي حذرة. أتسمعين؟ فالرجال أمثاله ليسوا معتادين على سماع كلمة لا من المرأة».

قالت بايج باقتناع فاجأت نفسها به: «لا تقلقي، فهو ليس من نوع الرجال الذين يتصرفون بشكل سيئ، بالإضافة إلى أن عشيقته الدائمة هنا، وهما سيغادران غداً».

قالت شيري غير مقتنعة: «آه... تباً!».

- المنزل جميل... مع أنه قديم لكنه مرتب وفخم. وهو لا يبعد سوى خطوات عن شاطئ رائع. تحيط بالمنزل الأشجار المرتفعة المعمرة... لا يمكنك رؤية أي منزل مجاور، رغم أنه لا شك في وجود منزل قريب لمدبرة المنزل.

بدا الذهول في صوت شيري حين قالت: «ألديه مدبرة منزل؟».

- نعم. والجزيرة مكسوة بالأشجار الصغيرة، لذا تبدو من الطائرة كقلب داخل المياه باللون الأخضر. كأنها آتية من قصص الجنيات! لاقتنا

المروحية الخاصة بمارك في المطار، وأوصلتنا إلى هنا.

- رائع!

لم تكن شيري تشعر بالحسد تجاه بايج، وتابعت تقول لها: «استمتعي بوقتك... بكل دقيقة منه. لا تقلقي بشأني أو بشأن برودي... نحن بخير ونستمتع بأيام العطلة معاً، لذا لا تفكّري بالعودة حتى تصبحي جاهزة. وعليك الاستفادة من كل فرصة تسنح لك هناك».

توقفت عن الكلام قليلاً ثم تابعت: «كنت أفكّر أنك إذا أردت البقاء...».

- لا... لا أريد. سأعود إلى المنزل خلال أسبوع.

بدت شيري مندهشة، لكنها تابعت تقول: «آه، حسناً! قد تجدين فرصة عمل هناك، فأنت لم تحظي بعمل جيد في نابير، لذا إن وجدت فرصة استفيدي منها، ولا تقلقي بشأننا. في الواقع أعتقد أنني سأحصل على عمل جديد أنا أيضاً... أقصد عملاً محترماً. أجريت مقابلة عمل بعد الظهر، وبدا أصحاب العمل أشخاصاً طيّبين».

بدت شيري متحمّسة جداً، فسألتها: «ما الذي ستقومين به؟ وأين؟».

- في الريف على بعد عشرين كيلو متراً من نابير. رأيت الإعلان في الصحيفة بعد أن غادرت، وحين اتصلت بهم بدوا بحاجة إلى موظفة. إنه عمل منزلي بسيط مع الاهتمام بولدين بعد دوام المدرسة. هناك شقة خاصة لي ولبرودي.

- يبدو الأمر ممتازاً.

إن حصلت شيري على الوظيفة لن تعود بايج قادرة على تسديد إيجار الشقة. لكنها أبعدت تلك الفكرة عن رأسها وقالت: «سأدعو لك دائماً».

- نعم. حسناً! الأجر ليس جيداً كأجري الحالي بالطبع، لكنني سأكون قادرة على إدخار معظمه. من الجيّد أن يتربى برودي في تلك

البيئة. آه... آه...! لقد بدأ بالبكاء... من الأفضل أن أقفل الخط.

أخفضت صوتها وتابعت تقول: «استمتعي بوقتك. ولمرّة واحدة ابدئي بالاهتمام بنفسك فقط. اتفقنا؟».

اختفت ابتسامة بايج حين أقفلت الخط. أطفأت الأنوار من جديد، واستلقت على السرير وهي تدعو أن يقوم رب العمل بتوظيف شيري لينقذها من مهنة الرقص، فتعود تلك المرأة الدافئة التي كانتها من قبل.

رنّ جرس الهاتف من جديد، فرفعت بايج جسمها على مرفقيها ثم بحثت عن سماعة الهاتف بهدوء لتجيب.

سألها مارك: «هل كل شيء بخير؟».

- نعم، شكراً لك.

سمعت بايج صوت لورين بورتر وهي تستعجله بحدّة.

قال لها مارك: «أنا آسف، علي الذهاب. تصبحين على خير».

- وأنت بخير.

بدا لها أن ساعات طويلة مرت وهي مستلقية تصغي إلى صوت زخات المطر فوق مياه البحر وصوت ارتطام هذه الأخيرة بجدران المنزل. هل الأمر الطارئ عبارة عن عمل يستلزم الليل بطوله أم أن مارك برفقة لورين يمضيان أوقات حميمة في سرير أكبر من هذا السرير حتى؟

في النهاية تمكنت من النوم، لكنها أمضت بقية الليلة وهي تعاني من أحلام مظلمة ومخيفة إلى أن استيقظت مذعورة، وجسدها يرتجف بكامله حين سمعت صوت المروحية وهي تقلع.

لا شك أن مارك يغادر المنزل! من دون أي تفكير واعٍ، خرجت بايج من السرير.

٨ ـ قلادة وذكرى

حين أزاحت بايج الستائر، وفتحت الباب المؤدي إلى الشرفة، كان صوت المروحية قد بدأ يبتعد عبر البحر. شعرت فجأة بالألم يزداد تحت ضلوعها، ما جعلها تتكئ فوق الحاجز الحديدي. ضاقت عيناها وهي تحاول البحث عن المروحية.

قال مارك من مكان قريب جداً: «صباح الخير».

أجفلتها الصدمة، فاستدارت لترى أين هو. رأته يرتدي بنطلوناً فقط، وقد خرج من باب آخر يبعد بضع خطوات عنها.

لوّنت الشمس كتفيه العريضتين بلون ذهبي رائع، وزادته سمرة جسده خطورة وسحراً، كما ظهرت ظلال حول ذقنه غير الحليق. بدا كقرصانٍ مغامرٍ، جذاب ورائع حتى الخطورة، بكل ما في الكلمة من معنى.

تفجّرت الحرارة القوية في معدتها، وجاءت ردّة فعلها الأولى، على شكل رغبة قوية بالرجوع بسرعة إلى غرفتها، والانتظار هناك لتعود المروحية وتنقذها من إغراء هذا الرجل الخطير. إلا أنها وقفت بحزم وأخذت نفساً عميقاً. لو أنها فقط مشّطت شعرها قبل أن تخرج! أدركت بايج أن شعرها يبدو مشعثاً وهو ينتشر حول رأسها كغزل البنات.

تجنبت النظر نحو القميص البالية التي ارتدتها أثناء نومها، وقالت: «صباح الخير».

ومع أن الابتسامة التي ظهرت على وجهه تسببت بتوتر هائل في جهازها العصبي، قالت له: «إلى أين ذهبت المروحية؟».

- إنها تأخذ لورين إلى كريكاري. عليها أن تحلق بطائرة الساعة

الثامنة المتوجهة إلى أوكلاندا.

بفم جاف قالت له: «اعتقدت أنك ستغادر معها».

قالَ وكأنه لا يرى أي ضير في تعليقها: «لن أذهب إلاّ بعد الغداء».

التقت عينيها بعينيه بثبات، لكنها لم تتمكن من قراءة أي تعبير في عينيه الزرقاوين وفي وجهه الهادئ الوسيم.

سألها: «هل نمت جيداً؟».

قالت له باختصار: «جيد جداً، شكراً لك».

وقبل أن تتمكن من تعذيب نفسها بتصوّره في السرير مع لورين قال لها: «أنا آسف بالنسبة لليلة أمس. كان عليّ الانتهاء من بعض الأعمال التي لا تنتظر».

- هذا لا يهم!

هب نحوهما نسيم باردٌ من هواء البحر ما جعل بشرتها تقشعر. تابعت تقول: «لقد أمضيت سهرة جميلة، واستمعت بمشاهدة أحد الأفلام».

عبس مارك ثم قال: «من الأفضل أن ترتدي ثياباً تدفئك أكثر».

ثم أكمل قائلاً: «سأراك على الفطور بعد نصف ساعة».

- بالتأكيد!

قالت ذلك، ثم مشت إلى الداخل، وأغلقت الباب خلفها.

بعد نصف ساعة خرجت من غرفتها فالتقت به قادماً عبر الممر.

قال وهو ينظر نحوها بتسلية ساخرة: «يا لك من امرأة دقيقة المواعيد! هل أنت جائعة؟».

كانت كذلك فعلاً! لكن مظهره وقد حلق ذقنه وستر جسده بالقميص، سرق منها شهيّتها. حاولت تهدئة مشاعرها المتوترة، ومشت معه نحو الغرفة حيث تناولت العشاء بمفردها في الليلة السابقة. دخلت الكلبة فاني من الشرفة، وراحت تنظر إلى مارك، وذيلها يتحرّك بحماسٍ إلى أن رحّب بها، ثمّ اقتربت بهدوء من بايج كي تمسّد لها رأسها.

قالت بايج بينما أمسك مارك لها الكرسي كي تجلس عليه: «لا بد أنها

تشتاق لك في غيابك».

نظر مارك نحو الكلبة وعلى وجهه شبه ابتسامة، ثم قال: «لا أعتقد ذلك. أفترض أنني أشتاق إليها أكثر. تخبرني روز أوليفر أنها تنام كثيراً في غيابي».

بدا كأن قرناً من الزمان مرّ منذ الأمس، حين كانت تنزه الكلبين في نابير. فكّرت بايج بذلك.

حسناً! حصل الكثير من الأمور منذ الأمس... طارت إلى هنا وعانقت مارك كوربيت... سخرت من نفسها وهي تفكّر أن حدثاً كهذا قد يحدث انقلاباً كبيراً في حياتها.

سألها مارك: «هل من خطب؟ آه... ! تذكرت... في العادة يلزمك وقت طويل لكي تستيقظي جيداً في الصباح. أليس كذلك؟ هل تحتاجين إلى شيء ينشطك؟ قهوة مثلاً؟».

قالت بحزم: «نعم. سأتناول فنجاناً من القهوة».

- إذاً، اسكبي لنفسك فنجاناً وواحداً لي، إذا كنت لا تمانعين... أنا أشربها مرّة.

هذا جيّد! شعرت بايج بالفرح للقيام بأمر ما. رفعت الإبريق وسكبت فنجانين. بينما قام مارك بشن هجوم على محتوى الأطباق فوق طاولة الطعام.

حين جلست نظرت إلى صحنه، وبصوت أملت أن يبدو مازحاً ومسلياً، قالت له: «هل تأكل العصيدة كل صباح؟».

- فقط عندما أكون في المنزل.

- الابن سر أبيه.

بعد أن قالت تلك الكلمات تمنت لو أن بإمكانها سحبها من جديد.

هزّ مارك كتفيه وقال بلطافة: «فقط في ما يخص الفطور. ماذا تودين أن تأكلي؟».

- الفواكه والتوست. شكراً لك.

نهضت، وقامت بخدمة نفسها بنفسها، فأحضرت ما تريد تناوله، ثم سكبت الحليب فوق طبقها. تساءلت بغضب لما يجعلها مجرّد وجودها في الغرفة نفسها معه تتفاعل معه بحيوية أكثر. فيما هما يتناولان الطعام أخذ مارك يحدّثها بتهذيب وقد أفقدها هدوؤه ثقتها بنفسها. لو أن تلك المعانقات عنت له شيئاً، لتكلّم بحذر أكثر بدلاً من التحدّث بتلك الطريقة المهيمنة التي تعني أنه مستعد لفرض سيطرته عليها. قال لها بلطف: «بما أن الطقس قد أصبح أفضل اليوم بإمكاننا القيام بجولة حول الجزيرة في الصباح. ذلك سيعطيك صورة أوضح عن الصورة التي يبدو عليها المكان من البحر. فما رأيك بذلك؟».

اضطرت إلى الاستعانة بطاقتها كلها لتجيب عن سؤاله بهدوء: «هذا لطف منك، لكنك لست مضطراً إلى تسليتي».

رفع مارك حاجبيه وقال: «سيكون من المؤسف ألاّ تتمكني من رؤية الخليج وأنت هنا».

- ليس عليك أن تشعر...

- بايج... لن أعانقك من جديد!

شعرت بايج بالارتباك، وعلا اللون الأحمر وجنتيها.

- لن تحظى بفرصة حتى.

قالت بايج ذلك وهي تخرج الكلمات بسرعة. ثم أخذت نفساً عميقاً، وسألته بحزم: «هل بإمكاني رؤية ما تركته جوليت لي هذا الصباح؟».

ربما يفكّر مارك أنها جشعة، لكنها لا تريد أن تدعي بأنها هنا في عطلة ترفيهية، وعليها أن تغض النظر عن المعانقات التي تبادلاها.

قال لها والبرودة ظاهرة في صوته: «بالتأكيد».

لكن تلك البرودة اختفت حين قال: «سأعقد اتفاقاً معك».

ذهلت بايج لقوله ونظرت في عينيه الهادئتين اللتين تلمعان كقلب الياقوت الأزرق، ثم سألته باستغراب وقد انقطع نفسها: «ماذا؟».

- سأدع روز تحضر لك الصندوق إلى غرفتك بعد أن نعود. في

المقابل، عديني أن تتوقفي عن النظر إلي وكأنني أتحين الفرصة المناسبة كي أهاجمك. أنا آسف لأنني عانقتك بالأمس.

راح يتأمل وجهها. حين تحرّكت في مقعدها، قال لها بهدوء: «لن أقوم بتقديم أي أعذار... أنت جميلة وفاتنة، وأنا أفقد عقلي من حين إلى آخر... لكن ذلك لن يحدث من جديد».

أيقول هذا لأنه أمضى ليلة الأمس مع لورين بورتر؟ ربما يشعر بوجوب الإخلاص لعشيقته الدائمة!

فكّرت بايج أن عليها أن تشعر بالسعادة بسبب وعده. قالت له بفظاظة: «حسناً!».

- والآن... هل تعتقدين أنك ستتمكنين من تناول فطورك بدل تحريكه في صحنك من جهة إلى أخرى؟

شعرت أنها خرقاء وغبية، وبدأ العرق يتصبب خلف أذنيها. لا شك أنه يلوم نفسه كثيراً لأنه فقد عقله بالأمس.

قالت بتكبّر: «نعم».

ثم أجبرت نفسها على ابتلاع طعامها.

بدا زورق مارك الآلي أصغر من اليخت الكبير، لكن بايج قررت بعد أن رأت قمرته الفخمة وشراعه أنه أفضل بكثير من السفن التي يمتلكها الكثير من العائلات في نيوزيلاندا.

سألها مارك وهو يقف خلفها ليدعها تصعد من ظهر المركب إلى قمرة مرتفعة: «هل تعرفين شيئاً عن المراكب؟».

قالت له وهي تتحرّك برشاقة: «أجيّد التجذيف... هذا كل ما أعرفه».

عندما وصلا إلى أعلى الدرج قال لها: «إنها لوحة التوجّه».

وأشار نحو لوحة من الشاشات والأرقام أمام كرسي جلدي مثبت على ظهر المركب، ثم أردف قائلاً: «اجلسي هنا، وسنبدأ بالتحرّك».

تحركت بحذر وهي تراقب مهارة مارك وبراعته وهو يحرّك المقود

ويتعامل مع الأزرار ليحدد الاتجاهات أمامه.

حالما أصبحا خارج الخليج، واتجها نزولاً نحو الشاطئ، قال بصوت يعلو على صوت المحرّك: «أنا سعيد لأنني تمكنت من إقناعك بارتداء سترة النجاة».

ابتسمت وقالت: «نعم».

- إن الطقس أكثر برودة في عرض البحر. هل تودين أن تتولي القيادة؟

ترددت قليلاً، والتقت عيناها بالتماع التحدّي الظاهر في عينيه، فهزّت كتفيها وقالت: «سأفعل ذلك، على ألاّ تعتمد عليّ بالكامل».

- ثقي بي، فأنا أعرف الخليج كما أعرف نفسي.

تراجع مارك إلى الخلف، وأشار لها بأن تمسك بالمقود. حاول ألاّ يدعها تلاحظ أنه يتفادى لمسها. لمدّة نصف ساعة قامت بايج بقيادة المركب، فيما وقف مارك إلى جانبها ليدلّها على الجزيرة.

أخيراً، استلم القيادة عنها من جديد، ووجه الزورق نحو خليج صغير حيث التمعت الرمال البيضاء تحت غابة كثيفة من النباتات تشبه الملفوف. وخلف هذه الغابة الشائكة هناك مساحة خيالية مغطاة بالأعشاب وأوراق الشجر والأشجار المرتفعة حيث يتخيل المرء وجود عمالقة. بدت الأشجار طويلة وداكنة بينما تقدّما في المركب بين التلال خلف الشاطئ.

انخفض صوت المحرّك حتى أصبح بالكاد يسمع، فقال لها مارك: «إنه شاطئ الملفوف».

- إن سبب تسميته كذلك واضح للعيان.

أعجبت بايج بالنباتات الجميلة التي ينتهي كل غصن فيها بمجموعة كبيرة من الأوراق. تابعت تقول: «إنها زنابق. هل تعلم ذلك؟ إنه أكبر نوع من الزنابق في العالم».

حين ابتسم لها راح قلبها يضرب بسرعة كبيرة في صدرها.

- كلا، لم أكن أعلم. أخبرني والدي أن شعب الماوري والسكان

www.elromancia.com

الأصليين كانوا يأكلون أطراف هذه النباتات وقلبها.

وافقته قائلة: «كان أسلافنا ملتصقين جداً بالأرض».

حاولت تجاهل الحماس في داخلها.

- هل تهتمين دائماً للنبات؟

أخذت بايج تتلاعب بزر في سترتها وقالت: «دائماً. كدت أقود أمي إلى الجنون قبل أن أذهب إلى المدرسة. كنت أسحب لها النباتات من جذورها لأرى ما الذي يجري تحت الأرض. حين أصبحت كبيرة أصابني الذهول بسبب أعجوبة نمو النباتات. كيف نزرع بذرة صغيرة فتصبح بعد حين نبتة كبيرة؟!»

- إذاً، أنت تهتمين بالنباتات أكثر من اهتمامك بالمناظر الطبيعة.

حاولت تجاهل الارتباك التي تشعر به في داخلها بابتسامة صغيرة، وقالت: «هناك نوعان من البستانيين: الفنانون الذين يرسمون المناظر الطبيعية حيث تظهر النباتات والأشجار في أبهى حلة، والصانعون الذين يعاملون النباتات على أنها مجوهرات نادرة، فيحاولون إيجاد المناخ المناسب لها. أنا من النوع الثاني».

حين امتد الصمت بينهما لفترة طويلة، نظرت بايج إلى الأعلى. كان مارك ينظر من فوق رأسها نحو الشاطئ وقد قست قسمات وجهه وأصبحت عدوانية. قال مارك: «هل تودين الذهاب إلى الجامعة إن تمكنت من ذلك؟».

ثم انحنى إلى الأمام، وضغط على أحد الأزرار. دهشت بايج حين سمعت صوت سلسلة حديدية، فقال لها: «إنه المرسى يقترب. ما نوع المهنة التي تفكرين بها؟».

صمتت بايج وقد أدركت أن كفاحها لتأمين لقمة العيش جعلها تتخلى عن كل حلم أرادت تحقيقه. أخيراً قالت ببطء: «أريد أن أهجّن النباتات. نيوزيلاندا رائدة في هذا المجال، لأن مناخها ملائم لزراعة أجناس متنوعة من النباتات. برأيي، ما من لذّة تفوق رؤية نباتات من

زهوري المهجّنة تنمو للمرة الأولى».

بابتسامة صغيرة هزّ مارك رأسه مشيراً نحو الزورق فوق ظهر المركب، وقال: «سأضع الزورق في المياه لأرى كم أنت ماهرة في التجذيف».

- لماذا؟

التمعت عيناه وهو يقول: «لأنك قد تشعرين كأنك تجذفين في الوحل لاحقاً. أقنعيني بأنك تعرفين ما تقومين به، وسأعطيك الزورق ساعة تريدين، لكن بشرط أن ترتدي سترة النجاة».

حملت بايج سترة النجاة التي قدّمها لها فارتدتها، ثم مشت بضع خطوات إلى الأسفل نحو متن السفينة. بعد أن علّمها مارك كيف ترفع الزورق المطاطي من فوق متن المركب، تجاهل حماس فاني ووقف يراقب بايج وهي تحرّك المجذافين وتبتعد قليلاً عن المركب.

مرّ عام على المرة الأخيرة التي جذّفت فيها. لكن الأمر بدا بالنسبة إليها كقيادة الدراجة، لا يُنسى أبداً! بدا الزورق أوسع من زورق لويد لكنه انساب في المياه بسهولة أكثر.

تحت أنظار مارك المراقبة جذّفت بايج حول المركب ثم نحو قلب الخليج، ثم عادت حين شعرت بأن كتفيها قد قامتا بما في وسعهما القيام به خلال هذا اليوم. قال مارك وهي تعيد المجذافين والزورق إلى جانب مرسى المركب: «أنت بارعة في التجذيف.. توقفي عن النواح فاني... انظري لقد عادت!».

أمسكت بايج بيده الممدودة لمساعدتها، فرفعها عالياً... حتى أصبحت بين ذراعيه تقريباً. لكنه تركها قبل أن تصبح هناك.

قال والسخرية بادية في صوته وكأنه فهم خيبة بايج الصامتة: «فاني تحب الخروج من المركب».

ثم نظر إلى ساعته وقال: «من الأفضل أن نعود».

لم يتكلّم أي منهما خلال الدقائق القليلة التي أمضياها وهما في طريق العودة إلى المنزل.

فيما هما يسيران متوجهين نحو المنزل، قال لها: «عديني أنك ستسألين روز أوليفر في أي وقت أردت الخروج في الزورق. روز ولدت هنا، وهي تعرف الخليج جيّداً، كما أنها بارعة أيضاً في معرفة الطقس».

قالت بايج بثبات: «سأخبرها إلى أين سأذهب، وأستمع إليها إن لم يكن المكان آمناً. أنا لست غبية».

رمقها بنظرات سريعة، وفمه القاسي يظهر ابتسامة صغيرة أرسلت الملايين من الأسهم المدغدغة إلى قلب بايج ثم قال لها: «أنت بعيدة كل البعد عن الغباء».

تابع حين وصل أمام الباب: «سأرسل لك تركة جولييت مع روز إلى الغرفة».

في غرفة النوم جلست بايج فوق الكرسي وهي تحارب رغبة قوية في البكاء. حدّقت بتوتر حول الغرفة الأنيقة ونظرت عبر الأبواب الخشبية الداكنة نحو البحر. دق أحدهم باب غرفتها. إنها السيدة أوليفر، وهي تحمل علبة صغيرة. علبة عرفتها بايج على الفور. لِمَ قد ترغب جولييت بترك عقد والدتها لها؟ فكّرت بايج باستغراب.

قالت المرأة المسنة: «طلب مني السيد كوربيت أن أحضر هذه العلبة لك، وهذه أيضاً».

وأحضرت مغلفاً لتعطيه لبايج. قالت بايج بنعومة: «شكراً لك».

مدّت يدها، وبعد لحظات من التردد أعطت مدبرة المنزل العلبة والمغلف لبايج.

أخذتهما بايج، وعادت إلى الغرفة، ثم أغلقت الباب خلفها. انتظرت للحظات طويلة بعد أن وضعت العلبة فوق الغطاء الأبيض الكبير الذي غطى السرير، فيما لامست بعض الهواجس قلبها. لزمها عدّة دقائق لتتخلص من الذعر الذي أصابها قبل أن تفتح العلبة.

أخفت دموعها في عينيها وهي ترى سلسلة ذهبية علّقت بها قلادة على شكل قلب مرصّع بحبات الماس.

لطالما أبدت إعجابها بهذا العقد حين كانت طفلة، وبدت مقتنعة أنه أجمل ما رأته عيناها. لقد سمحت لها جولييت في بعض الأحيان أن تضعه وتدور في الغرفة وهي تشعر كأنها أميرة. أما الآن فقد توفيت جولييت، وكل ما بقي من بعدها هو هذا العقد، وهذه الرسالة. بعينين مليئتين بالدموع حملت المغلف وقرأت عليه اسمها مكتوباً بخط جولييت. فتحته بايج وأخذت الورقة الموضوعة بداخله. بهدوء وحذر فتحت الورقة...

«عزيزتي بايج! إن قرأت هذه الكلمات فذلك يعني أن مارك كان محقاً بإقناعي بكتابة وصية! أنا آسفة لأن الأمر تطلب عامين قبل أن تصل هذه الرسالة إليكِ.

هناك سبب لذلك، لكنه ليس هاماً. إن أصبح السبب هاماً فسوف تعرفينه.

أعلم أن مارك سيعمل على جعلك تأتين إلى أروهاني، مهما كانت ظروفك الآن. استمتعي بوقتك... أعلم أنك لم تحظي بعطلة ممتعة منذ غادر والدك.

هل تتساءلين إن كنت سأترك لك كلاماً حكيماً؟

آسفة! لكن هذا لن يحصل. كل ما أرغب به هو أن تستمتعي بوقتك... لاسيّما في الوقت الذي ستمضينه هنا. الكثير من الحب لك... جولييت».

ثم أضافت ملاحظة قالت فيها: «لطالما كنت صديقتي المفضلة وشقيقتي الصغيرة التي لم أحظَ بها يوماً».

شدّت بايج بقوّة على الرسالة، ووقفت لتتوجه نحو النافذة. حدّقت إلى الخارج وهي لا ترى شيئاً بعينيها الدامعتين، إلى أن سمعت أحدهم يطرق على الباب ما كسر الصمت حولها. بثقة، وقف مارك خارج الباب، وقال بصوت قوي ومعتذر: «هل كنت تبكين؟».

- لا...! فقط أتذكّر.

وقبل أن تتمكن من منع نفسها سألته: «هل كانت جولييت سعيدة؟».

نظر نحوها بنظرات غامضة، وقال: «لطالما كانت مشرقة وهادئة. وبدت سعيدة جداً».

رغم وجود لورين في حياته؟ لم تعتقد بايج ذلك.

عادت تقول: «لماذا أصرّت على حضوري إلى هنا لأستلم العقد؟».

- لا أملك أدنى فكرة.

توقف قليلاً عن الكلام ثم أضاف قائلاً: «لم تلتقيا كثيراً بعد أن ذهبت لتكمل تعليمها في مدارس أجنبية أليس كذلك؟».

- نعم.

- لكن لا بد أن صداقتكما كانت قوية لتدوم طويلاً وتقرّب المسافات والأعوام بهذا الشكل. لطالما علمت جولييت ما الذي تريده وهي أرادت أن تأتي إلى هنا.

ألقى مارك نظرة نحو ساعته، وقال: «الغداء جاهز... هيا! تعالي معي».

لم يسألها ما الذي كتبته جولييت في الرسالة... لا حين تناولا الغداء ولا قبل أن يغادر المنزل. جلست بايج فوق سريرها تسمع صوت محرّك المروحيّة وهو يبتعد، وعيناها غارقتان بالدموع.

تلك الليلة اتصل مارك من أستراليا، وفي الليلة التالية من سنغافورة، وفي الليلة التي تلتها اتصل من طوكيو في اليابان. تتابعت الاتصالات، وأصبحت بايج تنتظر اتصاله كل يوم.

لم يكن يمضي أوقاتاً طويلة وهو يتحدث عبر الهاتف، لكنها اكتشفت صورة جديدة لمارك. راح يخبرها عن أحداث يومه، ويصف لها المدن التي زارها، ثم يمازحها قليلاً ويسألها عمّا تفعله في غيابه.

أخبرته بايج عن بعض اكتشافاتها... أخبرته أن زوجين من الحمام الأصيل يحطّان باستمرار على أغصان شجرة الأكي دنيا وقد أكلا معظم ثمارها، وأنهما نظرا نحوها نزولاً وهم يديران وجهيهما إلى ناحية واحدة. أخبرته أيضاً أنها أخذت تجذف بالزورق حول الخليج مع فاني، وأن

السيّدة أوليفر صنعت لها الهلام وعلّمتها كيف تصنع حلوى البافولفا.

أدركت بايج أنها وقعت في غرامه عبر هذه المحادثات الهاتفية، وأن ما تشعر به يرضي شيئاً عميقاً في داخلها.

في الليلة ما قبل الأخيرة لبايج في أروهاني لم يتصل مارك بها. شعرت بألم وخيبة أمل كبيرين، بل شعرت أن نهارها مرّ سدى لأنها لم تتكلّم مع مارك.

في صباح اليوم التالي، تناولت فطورها على الشرفة، وبعد الفطور قالت لمدبّرة المنزل: «أودّ أن أخرج للتجذيف حول خليج شجر الملفوف».

الليلة كان نومها متقطعاً بسبب انشغال عقلها بالاستياء الذي شعرت به.

إنها بحاجة إلى القيام ببعض الحركة. حركة جسديّة مرهقة كي تتوقف عن التفكير بأنها لن تراه من جديد بعد أن تغادر أروهاني.

هزّت السيّدة أوليفر رأسها وقالت: «الطقس ممتاز! سأحضر لك الغداء لتأخذيه معك».

- شكراً لك. لكن، أنت لديك عملٌ لتقومي به، أنا سأعده بنفسي.

قالت مدبّرة المنزل وهي تنظر نحو السماء: «لا مشكلة. حاولي أن تعودي عند الساعة الثانية، ففي منتصف الطريق هنالك تيار في تلك الناحية من الجزيرة، وأنت بالتأكيد لا ترغبين بأن يجرفك التيار».

بعد نصف ساعة وضعت ثوباً إضافياً وواقياً للشمس وقبعة وما يكفي من الطعام والشراب في حقيبة صغيرة، وأصبحت جاهزة للانطلاق في رحلتها في الزورق.

- هذا رسن الكلبة.

قالت مدبّرة المنزل ذلك، فابتسمت بايج متفاجئة. تابعت المدبّرة تقول: «هناك أشجار كيوي، وهي مغرية جداً للكلاب. في السنة الماضية تشاجر مارك مع بعض أصحاب اليخوت الذين أخذوا كلابهم إلى خليج

أشجار الملفوف، وطلب منهم المغادرة على الفور. فاني مطيعة، لكنها كغيرها من الكلاب ترى الكيوي أمراً لا يقاوم. وقد ترغبين بإخراجها للتنزه».

وضعت بايج الرسن مع الأغراض وقالت: «أبدو كروبنسون كروزو».

نظرت نحو الطعام الوفير، ثم ابتسمت وقالت: «لا تتوقعي مني أن أتناول هذا الطعام كله».

- هواء البحر سيشعرك بالجوع.

ركبت بايج في الزورق، فسألتها السيدة أوليفر: «هل ستسبحين؟».

- لا! لم أحضر ملابس السباحة معي. لا تقلقي أنا أعرف كيف أتعامل مع المياه. سكنت إلى جانب النهر لعدّة سنوات.

هزّت السيدة أوليفر رأسها وقالت: «إن حصل أمرٌ طارئ ابقي بين أشجار الملفوف، وسأرسل زوجي إليك».

- حسناً!

لوّحت بايج لها وانطلقت مبتعدة.

٩ - من ينقذها؟

استكشفت بايج مع فاني بستان أشجار الملفوف. وحين وصلت الشمس إلى أعلى نقطة لها، جلست فوق بساط تحت شجرة كثيفة الأغصان والأوراق، وشرعت بتناول الغداء.

بدت رائحة الطعام شهية جداً، فروز أوليفر طباخة ماهرة، إلا أن شهيّة بايج رفضت أن تُفتح. في النهاية تناولت قطعة من اللحم المقدّد، ثم أكلت الكاسترد المزيّن بقطع من الكرز، ونظرت مطوّلاً نحو بقيّة الطعام.

جلست فاني على بعد خطوات منها وأخذت تحدّق بسلّة الطعام.

- من الأفضل ألاّ نهدر الطعام كلّه، لكنك قمت بالكثير من الحركة والسباحة.

غداً ستغادر هذا المكان الجميل وستترك هذه الكلبة التي اعتادت عليها، كذلك الرجل الذي يملك الجزيرة والكلبة. هي لن تعود أبداً إلى هنا، وهو لن يبحث عنها من جديد. حتى وإن فعل ستقوم برفضه مع وجود لورين بورتر في حياته.

نظرت بايج إلى ساعتها، ثم استلقت إلى الخلف فوق البساط بينما اقتربت الشمس من البحر. لديها بعض الوقت لترتاح قبل أن تعود إلى المنزل. أغمضت عينيها بشدّة.

لم تكن تلك فكرة جيّدة! قام عقلها من دون أي رحمة بتذكّر كل ما قاله مارك لها. تذكرت لمعان عينيه، ابتسامته وقوة وجهه الوسيم التي تزيد نبضات قلبها بجنون... تذكّرت الطريقة التي تشتعل فيها حين يعانقها. تذكرت حرارة المشاعر التي يحرّكها في داخلها...

www.elromancia.com

أجفلت فاني حين وقفت بايج على قدميها بسرعة، ثم قالت لها بخشونة: «هيا! فلنذهب».

أمسكت الكلبة بعصا صغيرة عن الأرض، ووضعتها أمام قدمي بايج. تنهّدت بايج وقالت: «حسناً! لِمَ لا؟ أعتقد أنك تفتقدين مارك أيضاً».

ارتفعت أذنا فاني، والتفتت حولها كأنها تتوقع وصول مارك. قالت لها بايج بمحبة: «مارك لن يعود قبل أن أسافر».

رغم أن اللعبة اقتصرت على رمي العصا في الماء وانتظار فاني حتى تحضرها لها من جديد، إلاّ أن ذلك ساعدها على التخلّص من بعض الطاقة التي كانت تحبسها في داخلها. بعدئذٍ حاولت أن تبتسم عندما حملت فاني العصا وركضت بها عبر الأمواج، وشعرها الأشقر يتطاير في كل الاتجاهات.

ساورها ألم عميق... بعد غدٍ لن ترى هذه الكلبة من جديد. لن ترى السيّدة أوليفر. لن ترى الحديقة التي تضج بالحياة والمنزل الرائع الذي يتوسطها. همس قلبها قائلاً إنها لن ترى مارك من جديد!

رمت بايج العصا مرة أخرى ومشت نحو الزورق محاولة التخلّص من إحساس الخسارة. توقفت لحظة لتنظر إلى الكلبة فأرعبها الفراغ الذي شعرت به في داخلها.

لم تعرف متى أخذت القرار بألاّ تعتمد على شخص آخر من أجل سعادتها، فهو قرار غير واعٍ. العيش برفقة والدة اعتمدت بالكامل على الرجل الذي تزوجته جعلها تصرّ على المحافظة على شخصية مستقلة لكن هذه الشخصية مهدّدة الآن. مارك اخترق دفاعاتها بقوة، لكن هذا مجرّد جزء من المشكلة. فهي تريد منه أكثر من مجرّد علاقة عابرة! إنها تريد الرفقة التي أعطاها لها عبر اتصالاته الهاتفية... تريد بناء مستقبل معه.

مرّت رعشة في جسدها جعلت قلبها يرتجف.

قالت بصوت مرتفع وهي تزدري صوتها الضعيف غير الواثق: «أنا

لست مغرمة بمارك كوربيت».

هي فقط ترى أن التحدّث معه مثير للاهتمام.. فالذكاء يلفت نظرها دائماً، وكذلك الكفاءة، ومارك لا قيمة له في حياتها لولا كفاءته وذكاؤه. المقالات في الصحف التي تهتم بشؤون المال والأعمال تشيد بقدرته وحيويته المرتبطتين بعقله المنضبط وإرادته القوية. هنا يكمن سر نجاحه وليس في الامتيازات التي يتمتع بها بسبب إرث عائلته.

قالت ساخرة من نفسها: «لا تنسي أنه يبدو كحلم رومنسي».

هزّت بايج رأسها وضاقت عيناها أمام الضوء القوي. كلّما سمحت لمارك باحتلال أفكارها، كلّما زاد تعلقها به. عبست، وحوّلت نظرها نحو المياه باحثة عن العصا، فإذا بفاني تسبح بالقرب منها. وسرعان ما بدأت العصا تتحرّك مبتعدة، فأدركت أن التيار قد التقطها. صرّخت على الفور قائلة: «فاني... تعالي إلى هنا! عودي بسرعة!».

لكن فاني تجاهلت نداءها، وسرعان ما بدأ التيار يقذفها هي أيضاً نحو الصخور البعيدة.

تجمّع الخوف على شكل بركة جليدية في صدر بايج، فحالما تقطع فاني الشاطئ الصخري لن يعود هناك ما يفصلها عن البحر المفتوح.

ركضت بايج بسرعة فوق الرمل الساخن نحو الزورق. استغرقت بعض الوقت كي تبدأ التجذيف وترتدي سترة النجاة، فهي لا تجرؤ على التحرّك من دون ارتدائها. بدا لها أن الزورق تطلب عصوراً لكي يصبح في المياه. حالما بدأ يعوم فوق المياه أخذت تدفع نحو عمق البحر أكثر ثم اختطفت المجذافين بسرعة كي تجذف بأقصى جهدها. بعد دقيقتين سمعت التيار يمرّ تحت الزورق، وشعرت بقبضة سحرية صلبة تدفعها نحو الكلبة.

أثناء رحلتهما معاً، أخبرها مارك أن هذا الرأس الممتد نحو البحر فيه الكثير من المنحدرات الصخرية، ما يعني أنه لا يوجد مكان لترسو فيه هناك، لذا سيكون عليها العودة إلى خليج أشجار الملفوف.

لحسن الحظ، فإن تزامن الهواء مع التيار سمح لها بالوصول إلى فاني

قبل أن ترهق نفسها بالتجذيف.

- لا بأس يا فتاة!

حاولت إيقاف الزورق في وجه التيار قليلاً، ووضعت المجذافين جانباً لتمسك برقبة فاني وجذبتها نحو الزورق بكل ما أوتيت من قوة. استغرق العمل بعض الوقت، لكن تعاون فاني وهدوء الزورق ساعدا على وصول الكلبة أخيراً بأمان نحو الزورق.

- اجلسي أيتها الكلبة الغبية! علينا العودة.

نظرت بايج نحو الرأس الصخري، وتمنت لو أن الزورق مزود بمرساة.

أخذت تجذف نحو خليج أشجار الملفوف من جديد. ولكي تشجع نفسها حدّثت فاني قائلة: «إنه أمر ممكن. لكن علينا أن نعمل بجهد».

لكن التيار ازداد قوّة، والزورق الذي بدا هادئاً وآمناً أخذ يتقدّم ببطء وصعوبة بسبب قوة الهواء. بعد عشر دقائق حدّقت بايج لتدرك أنه مازالت أمامها مسافة طويلة لتقطعها. إنها تقوم بتحريك الزورق بعكس التيار المتداخل مع حركة المدّ والجزر. وإذا ما اشتدت قوتهما، سوف يسحبها التيار نحو البحر.

أطبقت فمها وركزت على التجذيف بجدية، وهي تحاول جعل عقلها يركّز على الوصول بالزورق نحو اليابسة.

بدأت العضلات في كتفيها تحرقها، وبعد قليل بدأت فاني بالنباح. التفتت بايج من فوق كتفها، ولو كان لديها المزيد من الطاقة لبدأت تهلّل، لأنها رأت يختاً يتجه نحوها.

لوّحت بيدها بشدّة، ثم قالت بصوت مرتفع كي تسمعها فاني رغم صوت المحرّك: «هيا يا صغيرة! كل شيء سيكون بخير... نحن بأمان!».

تغيّر صوت المحرّك ما جعلها تتأكد بأن السائق قد رآها واستجاب لإشارتها، إلا أنها استمرت في التجذيف خشية أن تكون مخطئة. اقترب اليخت منها أكثر، فنظرت نحو خطوطه ثم وجهت نظرها إلى الأعلى...

أخذ نبضها يتسارع حين أدركت أن مارك هو السائق. مرّ بداخلها شعور قوي بالفرح. فأدركت أنها كانت بالتأكيد تخدع نفسها.

لم تعلم ما الذي عليها فعله، فوضعت المجذافين جانباً وانتظرت حتى توقف اليخت بينها وبين التيار. انتظرت بايج بتوتر بينما حرّك مارك اليخت بمهارة، أما هي فحركت الزورق قليلاً كي يصبح اتجاهه متناسباً مع منصة الغطس عند مؤخرة اليخت.

ترك مارك المحرّك مشتغلاً، وأتى بسرعة ليدخل الزورق على المنصة. سألها وصوته يعكس غضبه: «هل أنت بخير؟».

نظرت بايج إلى عينيه اللامعتين وقالت: «نعم... بخير».

- اخرجي من الزورق، وأنا سأتصرّف مع فاني.

حين حاولت بايج الوقوف غدت قدماها كالقش اللين. أمسكت يدان قويتان بها ونقلتاها نحو مقصورة القيادة. أرادت أن تبقى متكئة عليه لكنها أجبرت نفسها على التماسك.

- أنا بخير. لا أدري لما استسلمت قدماي... ذراعاي وكتفاي هي التي قامت بالعمل.

- إنها الصدمة.

وضعها مارك فوق مقعد، وعاد بسرعة نحو الزورق وهو يقول لها بنبرة آمرة: «لا تتحركي!».

في هذا الوقت كانت فاني قد أصبحت على متن اليخت، وبدأت تركض بين قدمي مارك. حين انحنى ليتعامل مع أحد الحبال راقبت بايج عضلات كتفيه تشتدان وترتخيان، وقد أخافتها قوّة الأحاسيس التي ثارت في داخلها نحوه. رغم التعب الذي سيطر على جسدها، ثارت في أعماقها أحاسيس ضارية لم تتمكن من التحكّم بها.

وقف مارك مستقيماً وحدّق إليها بعينيه الزرقاوين وقال: «لِمَ لم تقومي بإرساء الزورق، وانتظار أن يبحث أحدهم عنك؟».

- لا يوجد مرساة في الزورق.

توتر فمه، ثم أطلق شتيمة من خلف أنفاسه وقال: «أنا آسف. من الآن فصاعداً سيصبح هناك مرساة في الزورق».

اختارت فاني تلك اللحظة لتهز نفسها، فاندفع رشاش من المياه كالرصاص الفضي اللون حولها، فبدأت بايج تضحك من دون وعي. للحظة شعرت بأن الدنيا مليئة بالسعادة لأن مارك عاد إلى المنزل. في تلك اللحظة بسط مارك وجهه القاسي وأظهر ابتسامة خلابة. اختفت ضحكة بايج بسرعة حين أدركت أنها وقعت في غرامه. أنذرها المنطق أنها لا تعرفه بشكلٍ كافٍ بعد! لكن شعوراً أعمق بداخلها أخبرها أنها أحبته بقوة وعنف. منذ اللحظة الأولى التي رأته فيها، في مكان خفي في داخلها عرفت أنه الرجل الذي وهبته قلبها.

أدارت وجهها إلى الجانب الآخر لتخفي الدموع التي ملأت عينيها. لكنه رآها وقال لها: «أنت مرهقة... تعالي إلى الغرفة... سأعد لك شراباً».

- أنا مبللة.

- وكذلك أنا.

حين رأى أنها لم تتحرّك بعد، حملها وشق طريقه نحو الغرفة. رمشت بايج عينيها بيأس وهي تحارب الانجذاب الذي تشعر به نحوه، ثم تمتمت تقول: «إنه ذنبي. كنت أرمي العصا لفاني فالتقطها التيار بعيداً عن خليج أشجار الملفوف».

- إذاً، لقد أنقذتها، وهذا أمر جيّد.

أجلسها فوق أحد المقاعد ووقف باستقامة، وعيناه تتفحصان وجهها، ثم سألها: «هل تودين أن تستحمي؟».

كانت بايج تودّ بقوة الاستحمام، لكنها لا تملك ثياباً أخرى لترتديها. وارتداء الملابس المليئة بالمياه المالحة لم يبدُ أمراً مغرياً. لذا أجابته قائلة: «سأنتظر حتى نعود إلى البيت».

أغمضت عينيها حين أدركت أنها تدعو المنزل في الجزيرة بيتاً، وكأنها

تشعر بارتباط ما بذلك المكان! أحسّت أنه ينظر نحوها، لكنها أبقت عينيها مغمضتين. حين سمعت صوتاً يأتي من مطبخ السفينة أجبرت نفسها على الوقوف، وتساءلت لما تشعر بأن جسدها مقيّد.

قال لها مارك وهو يقترب منها حاملاً في يده كوباً من عصير الليمون: «اجلسي».

نظرت إليه بتحدٍّ وقالت: «إن جلست فلا شيء سيجعلني أقف من جديد».

قال ببرودة: «بل ستتمكنين من هذا. لا تستسلمي!».

قبلت كوب العصير منه وقالت: «سأحاول ألاّ أفعل».

وضع يده فوق كتفها وهو يقول: «هذا قاسم مشترك بيننا».

وأرجع ظهرها إلى الخلف، ثم تابع يقول: «ابقي هنا حتى تسترجعي بعض السوائل إلى جسدك. إنه كوب من الماء مع القليل من الليمون ليعطيه نكهة».

قالت وقد جفّ فمها، وشعرت بظمأ كبير: «يبدو رائعاً. لكنني لا أحتاج إلى منكّه للمياه، فأنا أحب طعمها».

- كيف تشعرين؟ ما مدى تصلّب كتفيك وذراعيك؟

حرّكت يديها لتختبرهما ثم قالت بتعجّب: «ليس الأمر سيئاً».

- أنت على الأرجح أكثر رشاقة ممّا تظنين. دعيني أرى يديك.

رمشت بايج، ثم مدّت يديها نحوه. تفاجأت حين أخذهما بين يديه وقلبهما وبدأ ينظر إلى كفيها. شحنة من الكهرباء سرت بداخلها قضت على الإرهاق الذي شعرت به.

شعر مارك أيضاً بذلك الدفء الخطير الكامن بينهما. فترك يديها وهو يقول بقسوة: «لو جذفت لخمس دقائق أخرى بعد لتقطعت يداك. حين نصل إلى المنزل سأحضر لك مستحضراً خاصاً للتشققات، الآن ابقي هنا، واشربي الماء بهدوء بينما أقود لكي نصل إلى المنزل».

راقبته بصمت وهو يخرج ليصعد عبر الدرج إلى قمرة القيادة. عندئذٍ

فقط هدأت أنفاسها، واعتدلت دقات قلبها قليلاً، رغم أنها بقيت سريعة. فعلت تماماً كما قال لها، وجلست ترتشف المياه.

بعد فترة قصيرة بدأت تتعرّق بشدّة، فوقفت، ثم خلعت سترة النجاة، واتجهت خارجاً نحو الهواء. كانت فاني نائمة في قمرة القيادة، ففتحت عيناً واحدة حين تحرّكت بايج صعوداً نحوهما. صدمت بايج حين رأت أنهما في خليج أشجار الملفوف، فقالت: «آه! اعتقدت أننا سنعود إلى المنزل».

نزلت المرساة في المياه. ورمقها مارك بنظرات متفحّصة، ثم قال: «لن يستغرق إحضار أغراضك الكثير من الوقت. سأقوم أنا بإحضارها فيما تبقين أنت وفاني هنا. يبدو أنك تعانين من ارتفاع في الحرارة».

رفعت يدها نحو وجهها وقالت: «القليل من الحرارة... كنت أغلي في سترة النجاة».

ابتلعت ريقها لتلين حنجرتها، ووجدت حديثاً عادياً تحدثه به فقالت: «فاني تبدو مرتاحة. أتمنى أن تكون بخير. لقد بقيت في المياه لفترة طويلة».

- إنها تمضي معظم الصيف في المياه... ستكون بخير. أنت من ستعانين في الغد.

- لا أعتقد ذلك. فالاعتناء بطفل صغير يقوي اليدين والكتفين.

نظرت باتجاه الشمس، فقال لها مارك: «أنزلي إلى الغرفة. لونك أصبح زهرياً بسبب الشمس، وانعكاس الأشعة في المياه سيزيد حالتك سوء».

راقبها وهي تنزل وتختفي في الغرفة مستخدمة يديها باحتراس.

لقد عاد لتوه من رحلة سيئة جداً بعد أن تمّ إعلامه بقضيّة فساد سببها أحد مساعديه الخاصين. من جهة أخرى اكتشف أن موظفة كبيرة في إحدى شركاته في آسيا قد تسببت بالأذى لأحد كبار المسؤولين في الحكومة، لذلك تطلّب الأمر منه رحلة جانبية سريعة لتهدئة الأوضاع.

لكن للمرة الأولى، كان عليه أن يكافح ليبقي تركيزه موجهاً نحو القضيّة، وقد أتعبه ذلك. شعر بالاستياء لأن هذه المرأة التي ترافقه الآن

اقتحمت منطقة في داخله، لطالما كانت آمنة وبعيدة عن الناس.

عاد من رحلته مبكراً، وقد أدرك كم أفسدت بايج عقله. حين أخبرته روز أوليفر أنها ليست هناك، حمل غداءه معه إلى اليخت، لأنه وجد أن هذه هي الوسيلة الوحيدة ليصل إليها في أسرع وقت ممكن. تحوّل دمه إلى جليد في عروقه حين وصل إلى المنطقة ورآها تحذف عبر التيار.

نزل إلى الغرفة كي يتفقدها، لكن بايج لاقته عند باب الغرفة.

- أخرجت زجاجة عصير من الثلاجة. هل تريدها؟

- شكراً!

رفع الزجاجة الباردة إلى فمه وابتلع جرعة كبيرة منها.

- لم أعلم أنك ستأتي اليوم.

أدارت بايج وجهها إلى الجهة الأخرى بحجة النظر إلى كوب العصير، لكن أصابعها بدت بيضاء حول كوب الزجاج بسبب برودته.

- هذا ما حصل! لا يمكنني أن أصف لك شعوري حين رأيت التيار يقذفك نحو البحر.

ارتجف فمها ثم قالت له: «كنت أشق طريقي، وكدت أصل إلى اليابسة، لكني شعرت بالسعادة لرؤية اليخت يقترب».

- كان عليك أن تتركي فاني هناك، فحياة الكلب ليست قيّمة بقدر حياة البشر.

- أنا أعلم ذلك، لكنني لم أتمكن من فعل هذا.

قال بنبرة جافة وعيناه الزرقاوان تراقبانها: «أنت رقيقة جداً!».

- هاه!

الكلمة والابتسامة التي رافقتها حملت الكثير من التحدي.

- المرأة التي تتخلى عن فرصة العمل كي تبقى في المنزل وتهتم بوالدتها، ثم تطلب من راقصة حامل بائسة الحظ أن تنتقل للعيش معها، لا بد أن يكون قلبها رقيقاً جداً.

- كيف عرفت ذلك؟

- شيري أخبرتني أنك أنقذتها من العوز...

قاطعته بعنف: «هذا هراء!».

- حين تركها زوجها أمنت لها سريراً، وساعدتها لتستفيد من التقديمات الحكومية، وجلست معها عندما توقفت عن العمل وتحضرت للإنجاب، كما تفعل الأخت تماماً.

سألته وكأن ذلك أمر مفروغ منه: «من منا لا يفعل ذلك؟».

قال بجفاء: «لا يرغب الكثيرون في تقديم المساعدة إلى راقصة».

هزّت بايج كتفيها، ثم قالت: «توقفت شيري عن الرقص حين أصبحت حاملاً، وكل ما كانت بحاجة إليه هو الدعم».

رفع مارك حاجبه وقال: «وهي ممتنة لك إلى الأبد... وهذا ما عليها فعله. جعلتني أفهم أنك إن كنت أنت ودودة فهي ليست كذلك، لذا علي الاحتراس... أعتقد أنه تحذير لي منها».

أغلقت بايج شفتيها لتمنع الكلام من الخروج.

- عيناك تصبحان خضراوين حين تغضبين، وهما تلتمعان كالذهب حين تفرحين، فتبدوان كأنهما مشتعلتان بالنار.

بعد قليل، راقبته بايج بذهول وهو ينزل الزورق ويدفعه نحو المياه. أمر فاني أن تبقى هناك، ثم جذف نحو الشاطئ.

عاد مارك بعد عشر دقائق حاملاً أغراضها إلى اليخت، رفع نظره حين خرجت بايج من الغرفة، وقال لها بحزم: «ابقي بعيدة عن الشمس. سنعود إلى المنزل».

- حاضر سيّدي!

رفع أحد حاجبيه ثم اتجه نحو قمرة القيادة.

١٠ . أعطته قلبها

ما إن أصبحت الأرض الخشبية للمنزل تحت قدميها، ابتسمت بايج وقالت لمارك: «الآن يمكنني أن أستحم».

أجابها مارك: «استحمي، ودعي المياه تنزل فوق كتفيك وظهرك. تعرفين كيف تشغلين مرشّة المياه. أليس كذلك؟».

حين هزّت رأسها إيجاباً، قال: «ابقي تحتها بقدر ما تستطيعين. سأرسل روز إليك لتأخذ لك مرطب اليدين».

وصلت بايج أخيراً بأمانٍ إلى حمامها. وقفت تحت المرشّة وهي تحاول الاسترخاء، بينما قامت المياه بتدليك ألم ذراعيها وكتفيها. رغم أن المياه الدافئة أراحتها، إلاّ أن توتراً داخلياً بقي ينقر على أعصابها.

يا لها من فتاة بسيطة غبية! بطريقة ما... ومع أنها حاولت تجنّب ذلك، إلاّ أنها سمحت لنفسها بالوقوع في حب مارك كوربيت، أشهر ملوك المال في العالم، ومحطّم قلوب النساء.

شعرت بالأسى العميق، لكنها لم تسمح لنفسها بالتمادي في هذه المشاعر، إذ لا تزال أمامها بقيّة السهرة والليل بالإضافة إلى صباح اليوم التالي قبل أن تغادر عائدة إلى نابير. عند الساعة التاسعة ستصل المروحية لتأخذها إلى كريكاري، ثم ستعود إلى نابير في الطائرة التي استقلتها لتأتي إلى أروهاني. لكن هذة المرة لن يكون مارك برفقتها!

كبتت بايج تنهيدة في صدرها، وغسلت شعرها من الملح العالق فيه. ثم قالت من تحت أنفاسها: «بإمكاني تدبّر أمري».

لكن الكلمات أعطت صدى مريراً، فأضافت لنفسها: «لأنني مضطرة

لفعل ذلك. لن أدع نفسي ألقى مصير والدتي. لذا لن أفكّر برجل واحد وأعتبر أن الحياة من دونه لا معنى لها!»

بعد مرور بعض الوقت تركت الحمام، ولفت جسمها بمنشفة بيضاء قبل أن تحمل مجفف الشعر.

بعد أن انتهت من تجفيف شعرها سمعت قرعاً على الباب، فشدت حزام رداء الحمام حولها، ونفضت شعرها، ثم أسرعت لتفتح الباب.

لم تكن تلك مدبرة المنزل آتية لتعطيها مرطّب اليدين كما اعتقدت، بل كان مارك نفسه يقف بالباب. من الواضح أنه استحم وقام بتغيير ملابسه فبدا فاتناً، كأمير الظلام المعتد بنفسه.

قفز قلب بايج خلف ضلوعها، وفتحت فمها لتقول شيئاً... أي شيء... وسرعان ما شعرت بالارتياح حين وصلت فاني واندست بها كي تقوم بتمسيد رأسها.

ربّتت بايج على رأس الكلبة، وحاولت التفكير بأمرٍ تقوله بينما أمسكت بيدها الأخرى عقدة حزام ردائها لتثبتها. تمتمت بغموض قائلة: «آه...! إنها لا تزال رطبة».

- قمت للتو بغسل الملح عنها. تفضلي، هذا هو المستحضر الذي وعدتك به.

بدا صوته ثابتاً، لكن البرودة التي ظهرت خلف أنفاسه جعلت كل عضلة من عضلاتها وكل خلية من خلاياها تتوتر.

وقفت مستقيمة الظهر، ومن دون أن تنظر في عينيه قالت: «شكراً لك. يداي تندمان على الدقائق العشر الأخيرة التي جذفت فيها».

ناولها مارك المستحضر، فأخذته منه بعد أن هزّت رأسها بغباء، حريصة على ألاّ تلمس يدها يد مارك أبداً. طبول صغيرة قرعت في أذنيها، فقاومت رغبة كبيرة بلفظ اسمه والنظر إليه.

تراجعت خطوة إلى الوراء بشكل أحمق، فتعثرت بفاني التي أرادت استغلال الفرصة كي تجوب الغرفة. وتراجعت كي لا تقع فوق الكلبة،

وسرعان ما أمسكت بها ذراع قوية. مرة ثانية وجدت نفسها بين ذراعي مارك، وهي تنظر إلى عينيه اللتين بدتا مغمورتين بالظلام.

قال بصوت حريري أرسل نبضات منتظمة في عروقها: «أصبحت هذه عادة لديك».

همست قائلة: «لا».

لم تعلم بايج إن كان هذا جواباً أم مجرّد حجّة كي تجعله يتركها، لأن عقلها لم يعد يستطع التفكير، وأصبح هشاً كالقطن منذ اللحظة التي أمسكها فيها. حاولت مقاومته، إلى أن قام حبها المولود حديثاً بتذكيرها أنها بعد مرور يومين لن تلمحه من جديد. عندئذٍ اشتعل الشوق في داخلها بقوة، فبادلته العناق بلهفة لا مثيل لها. التفت يداها حول رقبته، تنشقت رائحة عطره وأحست بحرارة جسده وقوته. تجاوبت بيأس مع إيقاع عناقه، ووقعت بالكامل تحت تأثير لمساته.

فجأة تذكرت جولييت ولورين بورتر. إن استسلمت لحبها له فستنضم إلى أولئك النساء اللواتي أحببن مارك إلى أن اكتشفن أن حبهن له لم يكن كافياً بالنسبة إليه.

شعر مارك بتغير مشاعرها، فتصلبت تعابير وجهه. قال بصوت قاسٍ هو مزيج من الغضب والازدراء: «أنت تسخرين مني».

ثم تركها لتقف على قدميها دون مساعدته.

شعرت بايج بالإذلال لأن قدميها بدتا غير قادرتين على حملها. أرادت أن تتمسك بذراعه ليساعدها، لكنها وجدت القوة لتدعه يذهب وتراجعت إلى الخلف، رغم أنها شعرت كأنها ستقع كلّما تحرّكت. قال ببطء وقد ظهرت ابتسامة على وجهه: «هل أعتبر هذا رفضاً منك؟».

قالت له بصوت أجش وهي تؤنب نفسها على الحزن الذي تشعر به: «أنا لست مستعدة لتلبية حاجاتك الوقتية».

ارتفع حاجبه بسخرية، لكن الازدراء ظهر في صوته وهو يقول: «ما الذي تريدينه؟ وعد بالارتباط الحقيقي؟».

- وما الذي تعرفه أنت عن الارتباط الحقيقي؟

قالت ذلك بصوت ملؤه الازدراء، وتابعت: «لم تكن جوليت كافية لك. حتى بعد علاقتك بلورين بورتر، أنت لست قادراً على الالتزام بتلك العلاقة».

راقب مارك وجهها بتعجّب وبعينين واسعتين وفم مشدود، ثم قال: «أهذا ما أخبرتك به جوليت؟».

- من غيرها قد يفعل؟

- إنها مخطئة.

رفعت بايج حاجبيها غير مصدقة، لكنه تابع بنبرة صوت جليدية: «لورين وأنا صديقان مقربان، لكن ليس بيننا أي ارتباط عاطفي».

شعرت بايج باضطراب عاطفي قوي. أرادت بقوة أن تصدقه، إلاّ أن رغبتها تلك امتزجت بمشاعر الغضب والاستياء.

- إذاً، لمَ ظنت جوليت أنه موجود؟

- إنها مثلي تماماً، تربّت في بيئة يقوم فيها الزوج دائماً بخيانة زوجته.

راقب مارك تغيّر تعابير وجه بايج، وتابع يقول: «على العكس من والدتي، تقبلت والدتها وجود عشيقات لزوجها كأمر واقع، ونشأت جوليت على هذا الأمر أيضاً. لم تكن تؤمن بالصداقة بين الرجل والمرأة. بالنسبة إليها، كل علاقة بين الرجل والمرأة هي علاقة عاطفية أو جنسية».

أرادت بايج أن تصدّقه، لكنها بقيت صامتة، فتابع يقول بحزم: «لم أكن على علم أنها رأت لورين كتهديد لها إلاّ قبل وقت قصير من وفاتها. يومها أخبرتها ما أخبرك به الآن... حين أعطي الوعود ألتزم بها. لقد كنت مخلصاً لها!».

لم تعرف بايج بماذا تجيبه. حماستها لتصديقه دمرت صلابتها، لكنها لم تتجرأ على الاستسلام لحماسها هذا. أدركت فجأة أنها تقوم بفرك يديها ببعضهما بقسوة، فأجبرت نفسها على إبعادهما عن بعضهما بجهد كبير.

- أنظري إلي.

انسدل شعرها حول وجهها بينما هزّت رأسها.

- بايج أنا لا أصدّق هذا. أنت محاربة قوية، وأنا لم أعتبرك يوماً جبانة.

اللطف في صوته جعل عزيمتها تتناثر إلى قطع صغيرة، نظرت إليه، وسرعان ما شعرت بالضياع. قال لها بخشونة: «أرغب كثيراً في معانقتك... لكن ليس إن كنت لا تصدقيني، فأهم شيء بين الحبيبين هو الصدق».

ما من رجل بإمكانه أن يتكلّم بهذه الطريقة وهو يكذب! توتر جسدها بسبب الأحاسيس الغريبة التي اجتاحتها.

قال لها مارك من بين أسنانه لدرجة أنها بالكاد فهمت ما يقول: «بايج... أقفلي بابك حالما أخرج من الغرفة».

أرادت أن تسأله إن كانت جوليت قد تزوجت منه لسبب معيّن، وأرادت أن تراقب وجهه وهو يجيب، لكن الفكرة اختفت حين التقت عيناها بعينيه اللتين التمعتا كحبتي الياقوت فوق بشرته الذهبية الرائعة.

الشوق والخيبة امتزجا في داخلها كالنار والبترول، لكنهما ترافقا مع شعور بالارتياح لأن جوليت عرفت الحقيقة قبل أن تموت. قالت له بعدم اتزان: «شكراً لك لأنك... احتجت لمعرفة ذلك. أنا سعيدة لأن جوليت لم تمت وهي تظن بأنك...».

مدّ يده ليمسح دمعة عند زاوية عينها، وقال لها بصوت قوي: «وأنا أيضاً. أنا لا أستحق دموعك بايج. وما كانت جوليت لتحب أن تراك.

الحب الكبير الذي شعرت به جعلها تمسك يده وتضعها فوق خدها. أدركت بتوتر وارتياح في آن أن لا شيء في حياتها بدا صحيحاً بقدر حبها لهذا الرجل.

استدار مارك وأغلق الباب خلف فاني، ثم رفع رأس بايج بلطف لتنظر إليه، وتمتم قائلاً: «هل ما زالت يداك وكتفاك تؤلمك؟».

في منطقة معينة من دماغها، أرسل لها عقلها الواعي بعض التحذيرات، لكنها لم تستطع التركيز إلاّ على رائحة عطر ذلك الرجل. تمنت لو أن بإمكانها أن تدفن رأسها في صدره فوراً لتتنشق ذلك العطر بقوّة. انتشر سحره حولها كالدخان منذراً بتحويل كيانها إلى رذاذ. أُخذت بايج بجاذبية عينيه، فمدّت يدها لتستقر فوق صدره. أخيراً استعادت شيئاً من عقلانيتها، فقالت: «ذراعاي وكتفاي بخير، لكنني أشعر ببعض الضعف».

دقّ قلبه بقوة خلف يدها، وملأها ذلك الإيقاع الجميل بالفرح وبالشعور بالانتصار. قال مارك وهو يمسك بها ويتوجه معها نحو الغرفة: «من الأفضل أن تجلسي، فأنت ما زلت مرهقة».

حين أصبحا بالقرب من السرير توقف ونظر مباشرة إلى وجهها، فيما كاد لون عينيه يصبح أسود، ثم قال بهدوء: «أتعلمين أنك رائعة الجمال؟».

ابتسمت بايج بخجل وأخفضت بصرها لشدّة إحراجها، وما إن رفعت بصرها حتى ضمها إليه في عناق حميم.

حين شدّ ذراعيه حولها، استجابت لعناقه بتلقائية. فكّرت أنها ستندم على ذلك في ما بعد، لكنها عرفت أن ندمها لن يكون بقدر لذّة مشاركة مارك العناق. بعد ذلك لم تعد قادرة على التفكير.

بعد فترة طويلة أفلتها مارك من جديد، فتأرجحت فوق رجلين ضعيفتين.

لا شك أنه معتاد على النساء المنمقات أما هي فليست من هؤلاء النساء. إنها لا تملك سوى حبها له، وهو لا يريده على الأرجح. مع ذلك، فكّرت بايج أنها ستحبه إلى الأبد حتى لو لم تحظَ سوى بعناقه الآن.

التفت مارك نحوها قائلاً: «هيا! اصعدي إلى السرير. عليك أن ترتاحي قليلاً».

أطاعته منقادة بسحر سطوته وقوته. توقعت أن ينحني فيعانقها ولو

عناقاً سريعاً قبل أن يغادر، إلاّ أنه لم يفعل. وضع الغطاء فوقها، وابتعد، تاركاً إياها غارقة في مشاعرها الغامضة والأحاسيس التي استفاقت فجأة في عالمها. أما مارك فقد بذل جهداً مضاعفاً كي يتمكن من إبعاد يديه عنها ومغادرة الغرفة.

الأفكار الأخيرة التي راودت ذهن بايج قبل أن تستسلم للنوم، كانت أفكاراً وصوراً غير مترابطة، إلاّ أنها أقنعتها أنه مهما حصل في المستقبل، فإنها ستحتفظ بذكرى عناق مارك ورقّته ورائحة عطره.

استيقظت بايج من نومها عند الغروب على صوت مروحية يطنّ في أذنيها. استلقت في السرير عدّة لحظات تستعيد ذكريات عناقهما. تمطّت بارتياح، وفكّرت أن حبها لمارك هو أفضل شيء حصل لها في حياتها. بدا مارك لطيفاً شهماً، وعندما يعانقها يتحوّل ذلك اللطف إلى نار ملتهبة.

سوف يغيّر نظرتها إلى الحياة كلياً، لكنها واثقة أنها لن تستطيع الوقوع في حب رجل من بعده.

علمت أنها لن تستقيل من الحياة كما فعلت والدتها. بدلاً عن ذلك ستصبح حياتها غنية وممتلئة لأن الحب يعني لها أكثر بكثير من الاستقلالية. تحرّكت بتململ فوق السرير، والتفتت لتنظر إلى الباب متمنية أن يطرقه الآن في هذه اللحظة. وما لبثت أن قالت لنفسها بصوت مرتفع: «هذا لن يحدث. لذا اكتفي بما أخذته واشعري بالفرح».

عليها أن تقاوم هذا الحب الذي يخدر أفكارها وقراراتها. سألت نفسها فجأة: «لماذا؟».

في النهاية هي تعلم أنه لن يرتبط معها في علاقة دائمة، إذ حرص على إيصال تلك الفكرة إليها بصراحة قاسية. إنها ليلتها الأخيرة على الجزيرة، وهي لن تضيّع دقيقة منها.

خرجت من السرير ثم ارتدت ملابسها قبل أن تخرج لتبحث عنه.

رفع مارك نظره عن طاولة المكتب، وضاقت عيناه حين رأى بايج تمشي عبر الممر نحو الشاطىء. بدت له وحيدة، ووجد نفسه يقف على

قدميه وقد قرر جعل الأمور أفضل بالنسبة لكليهما. لحسن الحظ، تحرّك المنطق لديه قبل أن يمشي أكثر من خطوتين. ضغط فمه وعاد إلى مكتبه ماراً بجانب فاني النائمة.

رغبته في التقرب منها تجعله يبدو ضعيفاً. أطلق شتيمة من تحت أنفاسه. لقد تصوّر أنها تملك خبرة ما وهي في هذه السن، لكن براءتها وعدم خبرتها بالعلاقات العاطفية صدمتها.

فجأة رن جرس الهاتف، فرفع مارك السماعة على الفور وقال: «نعم؟».

قالت لورين: «عزيزي، سأكون عندك بعد ساعة. لقد حضّرت كل شيء، وبقي هناك أمران فقط عليك إنهاؤهما، وبعض الأوراق التي عليك أن توقعها، بعدئذٍ سينتهي كل شيء. أراك قريباً».

وضع مارك السماعة، وعبس وقد لحقت عيناه بتلك الفتاة التي تمشي فوق الشاطئ. لقد خرجت فاني وانضمت إليها، فشكلتا معاً صورة جميلة لمشهد الغروب. أغلق جهاز الكومبيوتر المحمول، ورتّب بعض الأوراق التي سيحتاجها لاحقاً الليلة، ثم تكلّم مع مكتبه في لندن. بعد ذلك خرج ليشاهد الغروب في فصل الربيع، حيث الجو المعطر برائحة البحر امتزج بعطر خاص بالموسم يوحي بالنمو والخلق والازدهار.

تملكته مشاعر قوية ورغبة بمعانقة بايج. ها هي تقف بمحاذاة المياه تماماً، مستقيمة بجسدها النحيف. انحنت لتلتقط حصاة ثم رمتها في الماء، فقفزت الحصاة خمس مرات في المياه قبل أن تغرق.

قال مارك وهو يمشي لينضم إليها: «لقد تمرنت على هذا. أليس كذلك؟».

قفز قلب بايج، لكن إرادتها القوية جعلتها تمنع نفسها من الاستدارة نحوه وهي تقول: «لمدّة ثلاثة أشهر تقريباً، حين كنت في العاشرة من عمري».

تمشى مارك عبر الرمال قائلاً: «والدي علمني كيف أقوم برمي الحصى

أيضاً».

التقط حصاة صغيرة، رماها بالتفافة من ذراعه، فقفزت في المياه ست مرات قبل أن تغرق.

قالت بايج بتذمّر: «هل تأخذ كل أمر كمبارزة؟»

هزّ كتفيه وأجاب: «لم أكن أحاول التغلب عليك. لكن المنافسة مزروعة في دمي».

بدت عبارته غامضة حتى إن بايج حبست أنفاسها، وتساءلت إن كانت تجرؤ على اللحاق به بتلميحاته. تساءلت كيف كانت علاقته بوالده؟ هل أظهر ذلك الوالد لابنه ناحية أكثر لطفاً من شخصيته؟

- كان والدي يلعب دائماً كي يربح... حتى عندما علّمني لعبة الشطرنج وأنا في الرابعة من عمري.

اعتصر قلبها للتفكير أن طفلاً صغيراً واجه قسوة والده، وقالت له: «أراهن على أنه كان فاشلاً».

ضحك وقال: «في المرة الأولى التي جعلته يعترف بخسارته أمامي، قالها لي من بين أسنانه وهو غاضب، لكنني سمعته بحدّث أحد أصدقائه عني، فقد كان فخوراً بي».

- آه... ! إنها إحدى اللحظات الأبرز في حياتنا... كتلك اللحظة التي تكشف فيها أنك أنت من يتحكّم بالدراجة وليس العكس.

ظهرت التسلية في صوته وهو يوافقها الرأي. لكن رغم الصمت المريح الذي تلا ذلك، شعرت بايج بحبها لمارك يغلي في عروقها. أومأت نحو اللون القرمزي الذي ظهر مشعاً في السماء عند مغيب الشمس، وقالت: «يمكنني أن أفهم الآن لماذا ترى أن هذا المكان هو الأقرب إلى قلبك. إنه بالفعل كامل الروعة والجمال».

قد تقدّم بايج قلبها من أجل هذا المكان ومالكه!

وافقها قائلاً: «جمال ليس له مثيل».

أظهر فمه الجميل ابتسامة ساخرة، ثم تابع يقول: «لكن إن كنا لا نريد

أن تغضب روز أوليفر، من الأفضل أن نعود إلى الداخل. ما رأيك بتناول الشراب قبل العشاء؟».

أجفلت بايج بداخلها لكنها استدارت ومشت برفقته نحو المنزل، ثم قالت بهدوء: «سأغيّر ملابسي».

ارتدت تنورة بسيطة مع قميص من دون كمين، مفتوحة عند الرقبة من اللون البرونزي. في هذه الأثناء سمعت صوت الطائرة المروحية تصل. لا بد أن أحدهم قادم! توقفت بايج عن تسريح شعرها، وعضت شفتها، لكن لم يكن من حقها الاعتراض.

حين خرجت من غرفتها توقفت أمام باب غرفة الجلوس واستجمعت قواها. هناك تمكنت من سماع أصوات. نعم... لقد وصل أحدهم. كانت واثقة تقريباً من هوية الضيف.

اقشعر جسدها وهي تفتح الباب. رأت مارك ولورين ينظران من النافذة نحو الغروب. رغم أنهما لم يكونا متلاصقين، لكن شيئاً ما في ذلك الصمت عذّب كل جزء من جسد بايج. وخزها الحزن في ناحية من قلبها لم تكن تعلم بوجودها. لقد كذب عليها! فكّرت بيأس. هكذا اكتشفت جوليت أنهما حبيبان! الحميمية بينهما مشعة تماماً كعيني مارك.

لم تتوقع بايج الارتباط، لكنها صدقته حين قال إنه ولورين ليسا حبيبين... قال ذلك فقط كي يخدعها... ويخدع لورين أيضاً. أما من رجل واحد في العالم يفي بوعوده؟!

أجبرت نفسها على الهدوء وهي ترى لورين تنظر إلى وجه مارك وتضحك. أدركت أن الحب موجود في ذلك الصوت الناعم... كما أن التناغم بينهما في المستويين الاجتماعي والثقافي واضح أيضاً.

١١ - كاذبة

أرادت بايج بيأس أن تقوم بحركة ما تخفي شعورها بالإذلال. أغلقت الباب بشكل أصدر صوتاً، كي تنبههما إلى وجودها. حين نظرت نحوهما استدار كلاهما نحوها.

بدت الصلة بين مارك ولورين واضحة تماماً، كما بدت في النادي حيث رأتهما معاً للمرة الأولى. بدأ غضب بطيء يغلي في داخلها، وهي تحاول إخفاء مشاعرها تلك. لملمت بقايا كبريائها المحطمة، وتوجهت نحوهما وهي ترفع رأسها فوق كتفيها ورقبتها. بادرها مارك: «ما الذي تودين شربه بايج؟ هناك عصير أناناس وعصير ليمون».

أجبرت بايج نفسها على البقاء قوية، لكنها بالكاد تمكنت من التنفس. قالت: «أود أن أشرب عصير الليمون».

ابتسمت لورين لبايج ابتسامة دافئة جرحتها أكثر من أي شيء آخر حصل منذ دخولها إلى الغرفة. فهمت الآن لماذا أحبّت جولييت هذه المرأة رغم كل شيء.

قالت لورين: «أنت محظوظة لأنك تعيشين في خليج هوك. حين أكون في نيوزيلاندا أحاول دائماً تجربة أطعمتكم المميّزة».

تملك لورين لكنة فرنسية صحيحة مئة في المئة. لا شك أنها قادرة على التكلّم عن جميع أنواع الأطعمة الغريبة أيضاً وعن آخر إصدارات الكتب والأفلام...

إن كانت ابتسامة بايج غاضبة كما شعرت بها فوق شفتيها، من الواضح أن مارك ولورين لم يلاحظا. علّقت على كلام لورين قائلة:

«العيش في مكانٍ شهير بأطعمته اللذيذة يعني أن يتقن المرء تحضير الوصفات الغريبة، لكنني بصراحة لا أعرف كثيراً عن الطهو»

ارتاحت بايج لأن صوتها بقي متماسكاً.

بعد أن قدّم مارك لكلتيهما الشراب، بدأ يتكلم عن الاختلاف بين عادات الشعور في تناول الطعام. لم يكن على بايج أن تتعب نفسها لتركّز، فمارك يملك قدرة نادرة على إيصال المعلومات بسهولة.

وجدت بايج أن بإمكانها تدبّر أمرها خلال المحادثة إن اعتبرت أن ما تفعله هو جزءٌ من مسرحية. منذ دخلت إلى الغرفة وهي ترى في كل لحظة مدى قوة ذلك الارتباط العميق بين مارك ولورين.

حين أتت مدبّرة المنزل ودعتهم لتناول العشاء كانت حنجرتها قد تصلّبت. وبعد أن ابتلعت ريقها مرتين متتاليتين علمت أنها لن تتمكن من تناول العشاء. لكن لإنقاذ نفسها عليها أن تجبر نفسها على تناول الطعام. القليل من العصير قد يساعدها.

راحت تمضغ طعامها بتهجّم وابتلعته على مضض، كما قامت بمجاراتهما في حديث حول اهتمامها بالنباتات.

قال لها مارك: «لدى صديق يقوم بتأصيل الورود. لا بد أنك سمعت باسمه... إنه آدم كوروين».

التمعت عيناها الخضراوان بشدة على ضوء الشموع الخافت. التقت نظراتها بنظراته وقالت له: «إنه عبقري! لديه باركة خاصة به، وجميع وروده قوية، سليمة وذات رائحة زكية».

- سأعرّفك به يوماً ما... سيكون...

غطى صوت المطر على صوته، حين بدأت زخاته تصدر صوتاً قوياً فوق سطح القرميد وعلى الزجاج.

لاحظت بايج كيف رفعت لورين أحد حاجبيها باتجاه مارك، ورمقته بنظرات حادة.

راحت تبحث عن أي أمل ولو صغير يعيد الحياة إلى المنطقة الباردة في

قلبها... تكلّم مارك كأن هنالك مستقبلاً ما بينهما... لا! فكّرت بحزم. إنها ليست كجولييت ولورين...! لن تقبل أن تشارك أحداً بحبيبها... إنه أمر مهين. إن لم تستطع أن تكون المرأة الوحيدة في حياته، فهي تفضل ألاّ يكون لها.

حين انتهى وابل المطر، قالت لورين بلطف: «من المؤسف أن الطقس كان ممطراً أثناء وجودك هنا».

تحاشت بايج عيني مارك، وابتسمت بحذر، ثم قالت: «في الواقع كان الطقس جميلاً بين الزخات، وأنا توقعت هطول المطر منذ البدء، فالجزء الشمالي من البلاد معروف برطوبته».

- تتكلمين كابنة وفية لخليج هوك، ذي الطقس المتوسطي.

قال مارك ذلك ثم سكت لبضع لحظات، وأضاف بعد ذلك بصوت متحفظ: «للأمطار منافعها... فهي تساعد على خصوبة الأرض، وتحافظ على جمال الطبيعة».

شعرت بايج بلون بشرتها يصبح داكناً أكثر، ولأن يدها بدأت ترتجف وضعت الشوكة من يدها فأصدرت صوتاً مرتفعاً في الغرفة.

تساءلت إن كانت تتصرف بحساسية كبيرة. فمن السخف أن تفكر في معانٍ مبطنة لكل كلمة يقولها!

تمتمت لورين: «لكن كل ما في نيوزيلاندا... كل ما رأيته على الأقل، جميل، حتى المدن. فهي مبنية في محيط رائع».

وافقتها بايج مرحبة بتغيير الموضوع: «نحن محظوظون. أي مدينة أحببتها أكثر من غيرها من بين المدن التي زرتها؟».

قالت لورين بسرعة: «باريس».

سكتت لحظة ثم تابعت قائلة: «لكن هناك أماكن عديدة رائعة في العالم. وأكره أن أفكّر بأنني لن أتمكن من رؤيتها كلها خلال حياتي».

بعدئذٍ تحدّثت لورين قليلاً عن بعض الأماكن التي زارتها وعن سحرها.

في وقت لاحق حين راحت بايج تحضر نفسها للنوم صلّت لكي تتمكن من إخفاء مشاعرها. فكّرت أنها ستتدبّر أمر التصرّف كراشدة... كامرأة لم يقم مارك بمعانقتها.

بعد العشاء سألها مارك إن كانت تودّ مشاهدة أحد الأفلام، فأخبرته أنها متعبة قليلاً، وتريد الدخول إلى غرفتها. عندها وقف بسرعة وسألها: «كيف حال كتفيك؟».

- أعاني من بعض التشنّج فقط.

- استحمي قبل أن تدخلي إلى النوم، ودعي المياه تنساب فوق ظهرك.

-سأفعل ذلك.

ذكرت نفسها وهي تبتسم له ابتسامة لا معنى لها أنه لا يزال أمامها اثنتي عشرة ساعة قبل أن ترحل، ثم استدارت نحو الباب.

جلست الآن فوق السرير، وتساءلت كيف ستمضي هذه الليلة.

شعرت بألم من الحسرة والخسارة، وهذا أمر غبي. فكيف تخسر أمراً لم يكن ملكها يوماً؟! لكن حبها له بدا بشعاً بعد أن رأت الرابط العميق بينه وبين لورين. أما الأسوأ من ذلك فهو الغيرة التي تغلغلت إلى قلبها. قالت لنفسها وهي تقف على قدميها وتتجه نحو الحمام: «الحزن لن يفيدك!».

لن تبدأ الآن بالشفقة على نفسها. ستجد الشجاعة والتصميم للقيام بأمر أفضل في حياتها. قد تكون التصرّفات التي قام بها تجاهها بعيدة تماماً عن المشاعر الحقيقية، إلاّ أنه أعطاها أفضل هدية، وهي معرفة مشاعرها الخاصة. تمسكت بالرف ونظرت إلى المرآة، فرأت عينين معذبتين بالأسرار وفم صارم مستعد لتحمل قسوة الأيام القادمة.

قدّمت نصيحة لنفسها قائلة: «أنت تعلمين أن الحياة قد تكون قاسية في بعض الأحيان... تعلمي كيف تتعاملين معها».

عليها فعل ذلك لأنها في اليوم التالي لن ترى مارك من جديد.

كشّرت بايج وحاربت موجات الألم التي اندفعت في داخلها. قد

تكون غبية لأنها حاولت التصديق أن عناقها لمارك سيعني شيئاً له.

مرّت فكرة في رأسها... ربما يكون التقارب بين مارك ولورين هو علاقة بين حبيبين سابقين، أصبحا الآن صديقين! قفز قلبها من مكانه. آه! لقد قامت بما يكفي من التمنيات، وعليها أن تأخذ عبرة ممّا يحدث.

هناك تعلّق كبير بين مارك ولورين تجاه بعضهما. إنها عاطفة لا يلاحظانها لأنها مألوفة جداً بالنسبة لهما. أتكون لورين مثل جولييت لطيفة ومطيعة؟! أتشعر بالسعادة لإعطاء مارك الحرية لفعل ما يريد؟!

- قد تكون كذلك أما أنا فلا!

رأت بايج في المرآة غضباً كبيراً، وفكّرت بألم أنها تتحوّل إلى إنسانٍ آخر، وهي تكره ذلك. حين تعود إلى نابير ستصبح بعيدة عن تأثيره المشوش، وتحاول إعادة ما تبعثر من حياتها. قد تجد عملاً له علاقة باهتماماتها الخاصة. لكن حتى نهار غد عليها أن تبقى صامتة، وتذكر نفسها أي نوع من الرجال هو مارك.

حين استلقت في السرير أبقت فكرها مشغولاً بإيجاد وسائل الانتقام من مارك. لماذا؟ لأنه جعلها تحبه بجنون؟ لكن في الواقع، هو لم يحاول فعل ذلك، هي من وقعت في حبه بسهولة. شعرت أن الغضب يُعطيها القوة لكن الأسف يحبطها، وهي الآن تحتاج إلى القوة. إنها ليست مغرمة به! عندما يحب المرء شخصاً ما فإنه يتمنى له السعادة قبل كل شيء. لكن ما تريده بايج هو الهرب من مارك واستعادة حياتها...

* * *

- آه! هذا جيّد.

احمرت وجنتا بايج خجلاً، فصاحب المشتل أبدى إعجاباً واضحاً بعملها. وقفا لبضع لحظات يراقبان الزهور قبل أن يعلّق صاحب المشتل من جديد قائلاً: «لا أعرف لماذا تريدين دخول الجامعة... إنها مضيعة للوقت. تربية النباتات تحتاج إلى معرفة ما تريده النباتات، وأنت تعرفين ذلك بمجرّد زراعتها. بعد ذلك هي تحتاج للإحساس وللنظرة الجيّدة،

وأعتقد انك تملكين تلك المواصفات سلفاً».

بايج تساءلت أيضاً إن كان من الجيّد أن تهدر ما تركته لها جولييت من مال على دراستها الجامعية.

- لن أتّخذ قراري قبل شهرين.

- حسناً! ذلك أمر جيّد. لا تنسي أن تنظفي سكين التطعيم.

- لن أنسى.

مشى الرجل إلى الأمام، ثم استدار وقال: «آه! أتيت إلى هنا لسبب معيّن. هناك رجل في الخارج يريد التحدّث إليك».

خلال الأشهر الثلاثة الماضية اعتقدت بايج أنها تخلّصت من كل فكرة تتعلّق بدخول مارك من جديد إلى حياتها. لكن ها هي الآن تفكّر بذلك مجدّداً بشكل مؤلم. توقفي الآن! إنها تعيد حياكة حياتها من جديد، ولن تسمح لفكرة غبية بتدمير تقدّمها. سألت بشكل عادي: «من هو؟».

- لم أره من قبل.

حدّقت بساعتها وقالت: «أنا لا أنتظر أحداً الآن. يمكنه أن ينتظر حتى أنتهي من عملي».

وافقها رب عملها، قائلاً: «عشر دقائق لن تشكّل فرقاً كبيراً لديه. لكنك عملت خلال فرصة الغداء لذا بإمكانك المغادرة الآن».

لزمها عشر دقائق لتغسل يديها وتنتزع بذلة العمل. سرحت شعرها قليلاً من دون أن تنظر إلى وجهها في المرآة، إذ علمت ما الذي ستراه... عينين غارقتين وفم متوتر. فهذه حالها منذ ثلاثة أشهر.

حملت بايج حقيبة صغيرة فوق ظهرها، وقادت دراجتها الهوائية لتستدير حول مبنى قديم، جزء منه مكتب والجزء الآخر خيم زراعية. غمرها الخوف والابتهاج معاً... إنها تعرف رجلاً واحداً فقط يمكن أن يأتي إليها في سيارة مماثلة، كهذه السيارة الفخمة التي تراها الآن.

رآها مارك تقترب ففتح باب السيارة وخرج منها بقوة أظهرت طوله وعرض كتفيه. قال وهو يراقبها: «بايج... كيف حالك؟».

أجابته بايج بفم جاف: «منذهلة».

وتابعت في سرها: وغاضبة أيضاً.

لا شك أن الغضب هو الذي جعل بشرتها تتلوّن، بحيث جعل الدماء تركض بقوة في عروقها. ارتفع حاجبه كالعادة وهو يبتسم، وقال: «منذهلة؟ بالتأكيد لم تتوقعي أن تكون كلماتك الباردة الرسمية في مطار كريكاري هي الكلمات الأخيرة بيننا».

حدّقت بايج به كأنه خرج لتوه من مركبة فضائية. بدا من الواضح جدّاً أنها لم تتوقع أبداً قدومه، وهو يعرف السبب بالتأكيد: جميع الرجال في حياتها هجروها بطرق مختلفة.

تباً! لقد فقدت الكثير من الوزن بعد أن تركها في الطائرة. أصبح وجهها واهناً، ربما لأنها تعمل في وظيفتين. لكن وجهها ما زال يعبق بالإحساس والجمال، وهو لا يزال يريدها تماماً كالسابق... بل أكثر...

قالت له بقسوة، وعيناها تلتمعان: «أعتقد أننا قلنا كل ما لدينا».

- أحقاً؟

بقي ينظر إليها حتى انخفضت رموشها: «نعم».

قالت ذلك ببرودة، وتابعت تقول: «أخشى أنني سأتأخر، لذا عليّ أن أنصرف».

- سأوصلك إلى المنزل.

- لا، شكراً لك. أنا أحتاج إلى درّاجتي كي أستخدمها غداً صباحاً لأعود إلى العمل.

- هل تعملين يوم الأحد؟

شعرت أنها غبية تماماً، فاليوم هو السبت لكنها تابعت تقول: «حسناً! كي أستخدمها يوم الإثنين إذاً!».

- سنضعها في صندوق السيارة.

ضحكت بايج، لكن ضحكتها بدت خالية من المرح: «سوف تحدش

الطلاء».

انزعجت لأنه هز كتفه بعدم اهتمام، وتحوّل الغضب في داخلها إلى سخط شديد حين قال لها: «إذاً؟».

- إذاً، أنا لا أريدك أن تقلّني إلى المنزل.

- أحتاج إلى التكلّم معك.

- ماذا بشأن ما أحتاج إليه أنا؟

بغطرسة وبرودة أجابها: «أنت تحتاجين إلى هذا أيضاً».

أجابته بشكل خال من اللياقة: «كحاجتي لضربة على رأسي».

ثم أضافت بحزم: «إن كنت مهتماً بالاطمئنان علي، فبإمكانك أن ترى أنني بخير. أنا أستمتع بعملي هنا، وأستفيد كثيراً».

أخذت نفساً عميقاً ثم تابعت تقول: «شيري وبرودي بخير أيضاً. إنها تحب من تعمل لديهم، وهم يحبونها أيضاً. إنها تعشق العيش في الريف، وقد حوّلت الأموال التي كانت تجمّعها لشراء منزل لتستثمرها في تجارة الأسهم».

قال وقد ظهرت على وجهه ابتسامة حرقت جسدها: «عليها أن تحذر من تجارة الأسهم».

ثم تابع بنبرة ملؤها القلق: «هل أنت مريضة؟».

شدّت قبضتيها فوق مقود الدراجة، وقالت: «لا!».

- هل أنت واثقة؟

واجهت بايج عينيه بنظرة عنيفة: «متأكدة مئة بالمئة. لكن حتى إن كنت كذلك، ما الذي ستفعله؟».

قال لها بحزم: «سآخذك إلى الطبيب».

شعرت بايج بالذهول، لكنها حاولت إخفاء ذلك، وقالت بصوت قاسٍ كالفولاذ: «لن أذهب معك، حتى لو كنت مريضة جداً. على أية حال لا مجال للتفكير بهذا الأمر فأنا لست كذلك. والآن عد إلى عالمك واتركني في عالمي».

وصل إليها قبل أن تتمكّن من تحريك قدميها. أمسك مقود الدراجة بيدين قويتين، وأوقفها عن التحرّك، ثم سألها بصوت عطوف: «سألتني مرة إن كانت جوليت سعيدة، وأنا أسألك الآن: «هل أنت سعيدة؟».

حين نظرت نحوه رأت في زوايا وجهه إرادة قوية وحزماً شديداً. ألصقت شفتيها ببعضهما بقوة، وقالت من بين أسنانها: «أرجوك... أترك درّاجتي».

- أودّ أن أشرح لك بعض الأمور.

- لا يمكنني التحدث إليك. عليّ العودة إلى المنزل. لدي عمل آخر يجب أن أصل إليه بعد ساعة.

كرهت أن تكذب عليه، لكن كان عليها أن تخرج من هذا المكان... قربه منها يجعلها تذوب كما يذوب الجليد من تأثير النار.

هجر والدها لها ولوالدتها ترك جروحاً في حياتها، ورسم طريقة تصرّفها، لذلك نظّمت بايج حياتها بشكل يمنع أي رجل من الاقتراب منها كي يبادلها الحب. لكنها لم تعد تستطيع الكذب على نفسها أكثر. رغم كل شيء هي تحب مارك.

- العودة معي في السيارة ستمنحك المزيد من الوقت... ادخلي... سأضع الدراجة في الصندوق.

تردّدت بايج قليلاً، وأخذ عقلها يعمل بسرعة ويدور. نظرة سريعة نحوه أخبرتها أنه لن يتحرّك، وأنها لن تحظى بفرصة للفرار إلاّ إذا قامت بالصراخ. ربما هذا الحديث الذي يود إجراءه معها سيضع نهاية لهذه العلاقة، ويخرجه كلياً من قلبها. سألته بقسوة: «أبهذه الطريقة أصبحت ذا شأن كبير؟ بمضايقة الناس وإزعاجهم؟!»

رفع الدراجة ووضعها في الصندوق، ثم أنزل الغطاء بحذر. قال لها بشكل خطير: «أنا أفضّل أن أسمي ذلك مثابرة وتصميماً على الأمور».

حالما أصبحا في طريق العودة إلى المنزل سألته بايج: «ما هو الأمر الهام الذي جعلك تعود من جديد؟».

أجابها بشكل مغيظ: «سأنتظر حتى نصل إلى المنزل. أخبريني ما الذي كنت تقومين به؟».

كادت تزمجر غضباً، لكن ذلك لن ينفعها، لذا حرّكت فكّها وأبقت نظرها موجهاً نحو الطريق.

أجابته بحزم: «كنت أعمل. وألعب مع برودي حين تكون شيري في المدينة. لقد كبر كثيراً... بإمكانه الآن أن يجلس ويصدر فوضى ويضحك. كيف حال لورين؟

- إنها بخير وهي ترسل إليك تحياتها.

- آه!

أرسلت بايج نظرة جانبية نحوه بارتباك، فالتقت عيناها بعينيه الزرقاوين. شعرت كأن معدتها ترتجّ، فأبعدت نظرها عنه بسرعة.

سألها مارك: «لماذا تعملين في وظيفتين؟».

هزّت كتفها وقالت: «أحتاج إلى كسب المزيد من المال قبل بداية العام الدراسي المقبل».

- إذاً ما هي الوظيفة التي تتطلب منك الخروج ليلة السبت؟.

قالت بتردّد: «آه... طبعاً! اليوم هو السبت... آه! خلال أيام الأسبوع أقوم بتنظيف المكاتب».

لم يقل مارك شيئاً، وشعرت بايج بالامتنان لذلك. كان عليها أن تتقن كذبتها أكثر! لطالما قالت لها والدتها إنها أسوأ كاذبة في العالم.

١٢ - رسالة وحلم

حين وصلا إلى المنزل، التفتت بايج نحو مارك وقالت: «من الأفضل أن أستحم وأغيّر ملابسي».

- سأعدّ لك القهوة.

التفت مارك نحو المطبخ وقال: «أنا سعيد لأنك تستخدمين إبريق تسخين القهوة الذي أحضرته لك».

- ما دمت قد أحضرته، من الغباء ألاّ أستخدمه.

قالت ذلك ثم اختفت.

استحمت بسرعة قياسية، وارتدت بنطلون جينز نظيفاً وقميصاً خضراء اللون. فكّرت والغصة تقبض على معدتها، أن هذه هي المرة الأولى التي تبدو فيها مخلوقاً بشرياً عادياً، وذلك منذ عودتها إلى أروهاني. أشرقت عيناها الخضراوان بالتماعة ذهبية، وعلا اللون الزهري خديها، وراح قلبها يضخ الدم بقوة في شرايينها.

لكن ما إن يغادر مارك منزلها حتى تعود ثانية كما كانت: يائسة ومحبطة!

حسناً! سوف تبقى متماسكة الآن، حتى لو كلفها ذلك كل ذرة من الإرادة والقوة المتبقيتين لديها.

رفعت ذقنها بكبرياء، وسارت نحو غرفة الجلوس. لم تكشف نظرات مارك أياً من الأفكار التي تدور في رأسه. ناولها كوباً من القهوة، قائلاً باقتضاب: «كذبت عليك عندما أخبرتك أنني كنت مخلصاً لجوليت».

- أعرف ذلك.

حاولت إخفاء مشاعرها وغضبها خلف نبرة صوت لا مبالية.

اهتزت عضلة في فك مارك وهو يقول: «لكنك لا تعرفين لماذا».

ابتلعت بايج الكلمات القاسية التي كادت تفلت منها، وانتظرت وهي تشعر بالسخط أن يخبرها بنفسه أن السبب هو حبه للورين. إلاّ أن مارك قال بنبرة صوت عادية: «عندما التقيت بك للمرة الأولى، وقعت في حبك. بدا ذلك كصاعقة أصابتني».

قال جملته الأخيرة بالفرنسية فلم تفهم ما الذي يعنيه. انتابتها الحيرة وحدّقت في وجهه قائلة بارتباك: «أنا... أنا لا...».

سارع يفسر لها: «... حقاً، كأن صاعقة ضربتني فأذهلتني قوتها. لم يكن ذلك حباً من طرف واحد... لا تهزي رأسك... هل تظنين أنني لم أدرك أنك شعرت بالانجذاب نحوي أنت أيضاً؟ عرفت ذلك فوراً، مع أنك كنت لا تزالين في السابعة عشرة من عمرك، ولا تدركين ما الذي يحدث لك. أنت بذلت ما بوسعك لمقاومة ذلك الشعور، ونجحت في إخفائه عن الجميع، لكنني عرفت ذلك... وشعرت بالخوف والخجل، لأن قوّة مشاعري نحوك فاقت كل حد».

علقت بايج بصوت بالكاد مسموع: «أنا... نعم... أعرف».

مهما كان ما توقعته من مارك، فهو ليس هذا الاعتراف بالتأكيد. أتراه سيقول لها الآن إنه عانقها فقط لكي يتخلص من ذلك الشعور القديم بالتوق إليها؟ مجرد التفكير بذلك جعلها تشعر بالسوء. إن كان الأمر كذلك، فليقل ذلك ويرحل بسرعة. هذا ما تمنته في سرها.

قال مارك بنبرة تخلو من أي انفعال: «تجاهلت شعوري هذا، لأنني كنت قد قطعت وعداً لجولييت، وعاهدت نفسي على الوفاء به».

توقف عن الكلام قليلاً، قبل أن يتابع بنبرة تحمل اشمئزازاً من الذات: «لكنني لم أتمكن من نسيانك. حملتك معي دوماً في قلبي وفي عقلي على الدوام. لم أعرف إن كانت جولييت قد أحست بذلك، لكن أظن أن هذا ما دفعها إلى الشك بأن لورين هي عشيقتي».

اهتزت يد بايج بقوة فاندلقت القهوة من حافة كوبها، إلا أنها تجاهلت الأمر وتمتمت: «أوه... كلا!».

أخذ مارك الكوب من يدها، ووضعه على الطاولة، قائلاً بسرعة: «هي لم تعرف بالأمر مطلقاً، ولطالما قدّرت صداقتكما. أنا وجولييت عرفنا منذ البداية أن زواجنا هو زواج عملي محض. لم أكن واقعاً في حبها ولم تكن هي مغرمة بي. كل ما في الأمر أنني شعرت بالتقدير نحوها، وكنت واثقاً أن بإمكاني أن أسعدها. لم يخطر في بالي يوماً أنها سوف تشك بوجود علاقة عاطفية بيني وبين لورين».

- كيف يمكنها ألاّ تفعل؟

ما زالت بايج غير مصدقة لما يقوله. على الرغم من ذلك الصوت الذي نبهها في أعماق رأسها بأنه يقول الحقيقة. تابعت تقول: «عندما رأيتك مع لورين، رأيت بوضوح أن هناك رابط عميق... عميق جداً لا يمكن تجاهله بينكما. إن لم تكن لورين عشيقتك، فمن هي إذاً؟».

لم يجبها مارك على الفور، ولم تستطع بايج النظر مباشرة إليه. انتظرت إجابته بصبر معذب، وهي تشعر بنبضات قلبها تدق في حنجرتها.

قال مارك من دون مواربة: «أريد أن يبقى ما سأقوله سراً بيننا، مع أنني أخذت موافقة لورين على إخبارك به. لورين هي أختي غير الشقيقة».

غرقت بايج فمها لدهشتها، وكررت: «أختك غير الشقيقة!!».

مرة أخرى اهتزت عضلة في فكه قبل أن يقول: «أقام أبي علاقة مع أمها... إنها واحدة من علاقاته المتعددة....

كان يتكلم بصراحة، ولغة جسده تظهر مدى احتقاره لذلك. تابع يقول: «لورين لا تريد أن يعلم أحد بذلك، لأن والديها ما زالا على قيد الحياة، وهما ما زالا متزوجين، ووالدها يظن أنها ابنته الحقيقية... إنها تحبه كثيراً وهو يعاني من ضعف في قلبه. إذا ما افتضح الأمر، فإن ذلك لن يسبب في انهيار زواج والديها فقط، بل يمكنه أن يقتل والدها أيضاً».

شعرت بايج بالذهول، فحملت كوب القهوة ورفعته إلى فمها من جديد، وارتشفت منه رشفة كبيرة علها تستمد منها بعض القوة. كل ما استطاعت أن تفكر به هو القول بوهن: «كيف علمت بالأمر؟».

- احتاجت لورين إلى عملية جراحية طارئة عندما كانت في الثانية والعشرين من عمرها، و... أنا تبرعت لها بالنخاع العظمي.

- ألم يتساءل والدها عن ذلك؟

التوى فم مارك، وقال: «كانت أمها في حال يائسة، فاتصلت بي آملة أن يكون نخاعي العظمي ملائماً لها. لحسن الحظ أنه كان كذلك. يبدو أنها أخبرت زوجها أنني ممن تقدموا للتبرع وسُجلت أسماؤهم في المستشفى من قبل... لم يعرف أحد بالأمر حتى جوليت، لكنني صممت على البقاء على اتصال بلورين. فوظفتها في شركتي، وتبين لاحقاً أنها بارعة في عملها، ومخلصة إلى أبعد الحدود».

- لا يفاجئني ذلك، فأنت أنقذت حياتها. لا أعرف كيف فاتتني ملاحظة ذلك، فأنتما تتمتعان بالبنية العظمية نفسها...

قالت بايج ذلك بهدوء، متسائلة لِما كانت عمياء كي لا تلاحظ الشبه بينهما. تابعت تقول: «... وكلاكما ترفعان حاجبيكما الأيسرين. لاحظت ذلك بنفسي، بالإضافة إلى ذلك الرابط العميق بينكما».

بدت عينا مارك الزرقاوان محجوبتين برموشه الكثيفة وهو يقول بنبرة صوت رتيبة: «لم تلاحظ جوليت هذا الشبه بيننا».

اشتبكت أصابع بايج معاً وقالت: «لكنها أدركت أن هناك خللاً في زواجكما. أشعر كأنني قمت بخيانتها».

حدّق مارك إليها وكأنها فقدت عقلها. توقعت أن ينفجر غاضباً في وجهها، إلا أن مارك أغمض عينيه وسحب نفساً عميقاً. وعندما فتح عينيه ثانية. سألها باعتدال: «كيف ذلك؟».

- طالما أنك كنت تفكر بي طيلة فترة زواجكما...

توقفت عن الكلام لأن هناك الكثير مما لا تستطيع قوله.

انعقد حاجباه معاً، وحثها على المتابعة: «تابعي!».

- لا أستطيع احتمال فكرة أنني جعلتها غير سعيدة.

أطلق مارك زفيراً من جديد، ثم قال مصححاً لها: «إن كان هناك من جعلها غير سعيدة فهو أنا. أنت بريئة تماماً من ذلك».

عضت بايج شفتها قائلة: «لكنني شعرت بالانجذاب نحوك أيضاً».

- بايج! توقفي عن النظر إليّ وكأنني عدوك.

سار عبر الغرفة باتجاه الباب، ونظر إلى الخارج لبرهة من الوقت. وبعد لحظة مليئة بالتوتر استدار نحوها قائلاً: «اجلسي! تبدين كأنك قطعت ملعب كرة قدم راكضة».

أطاعته بايج، فجلست على أحد المقاعد. وضعت كوبها على الطاولة، وشبكت أصابعها المتوترة معاً في حضنها.

قال مارك بصوت هش يخلو من الانفعال: «أريد أن أخبرك عن زواجي، ولكي أفعل ذلك عليّ أن أخبرك أولاً عن عائلتي. في البدء عليّ أن أقول إن والدي كان مشهوراً بعلاقاته الغرامية غير الشرعية».

تمهل قليلاً قبل أن يقول: «طالما أعلن أنه يحب والدتي... وأنا أظن أنه كان كذلك، بطريقة ما».

أصدرت بايج صوتاً يدل على استهجانها، فابتسم مارك ابتسامة تخلو من المرح، وتابع يقول: «أوافقك على موقفك... أحبته والدتي إلى حد اليأس، ولم تستطع تحمل وجود نساء أخريات في حياته، أما هو فبدا غير قادر على التوقف عن إقامة تلك العلاقات. أخبرتك ذات مرة أنني عشت طفولتي في جو من الشجارات العنيفة حيناً والصمت الفظيع أحياناً، لكن ما لم أخبرك به هو أن والدتي حاولت الانتحار ثلاث مرات على الأقل، وربما أكثر».

أصدرت بايج صوتاً يدل على الصدمة والتعاطف معاً، فيما تابع مارك يقول بنبرته الخالية من التعبير: «قررت ألا أضع أي امرأة في موقف مشابه. لم أرغب بأن أقع في حب امرأة والزواج بها. أردت زواجاً

عملياً، حيث يدرك الطرفان أين يقفان تماماً».

اعترفت بنبرة ملؤها الرعب: «أفهم تماماً موقفك هذا».

فكرت بايج أن تصرف والدها لا يقارن بما تسمعه الآن، فهو على الأقل استمر في العيش مع زوجته الثانية إلى أن توفي.

- اخترت جولييت لأنها تحب الأطفال، وهي معتادة على العيش في عالم كعالمي، كما أنها ذكية وطيبة. بالإضافة إلى أنها جميلة أيضاً... فكرت أن علاقتنا الزوجية ستكون جيدة.

علقت بايج ساخطة: «يبدو الأمر كأنك وضعت لائحة بالمواصفات المطلوبة لزوجتك».

ظهر التوتر على فمه، وأكمل حديثه: «... ولأنها أظهرت لي المودة والحب، ووجدت أنني مناسب كزوج لها. بالطبع هي لم تكن مغرمة بي. أنت لاحظت أنني ولورين نتشارك في عادات عائلية معينة... لكن جولييت لم تلاحظ ذلك مطلقاً. ألا يعطيك هذا فكرة عن نوع زواجنا؟».

عضت بايج شفتها السفلى قائلة: «أنا ألاحظ الوجوه جيداً».

- أهذا هو السبب الحقيقي؟

احمرت وجنتاها، فتابع يقول بهدوء: «مع جولييت كنت أعلم أن ليس هناك انفجار للعواطف أو مشاعر قوية. لم أكن أقدم قلبي وحبي لشخص قد يتعامل مع هذا الحب كما فعل والدي بوالدتي».

ساد الصمت بينهما لفترة. إلى أن قال مارك بخشونة: «لم ينفعني قراري هذا يوم رأيتك للمرة الأولى... فتاة السابعة عشرة من العمر... قبل يومين من موعد زفافي، وقعت في غرامك بقوة وبسرعة أفقدتني صوابي».

جلست بايج ساكنة، غير قادرة على الكلام، فيما تركزت نظراتها على وجهه القاسي.

أنهى مارك كلامه: «لم أكن أؤمن بالحب من النظرة الأولى، وما زلت

كذلك الآن، لكن هذا ما حصل لي. تزوجت من جولييت لأنني عاهدتها على الزواج والإخلاص، ولأن الزواج منها هو الأكثر أماناً. ولو أنها ما زالت على قيد الحياة لكنت حتى اليوم متزوجاً منها ومخلصاً لها».

جملته الأخيرة أثلجت قلب بايج وأعطتها أملاً كبيراً. هذا الرجل يحافظ على عهوده، مهما كلفه الأمر.

تابع يقول بفظاظة: «أشعر بالمرارة لأنها اعتقدت أنني لست مخلصاً لها، ومع أنها شعرت بالسعادة حين أقنعتها بأنني كذلك، إلاّ أنها ما كانت لتتركني لو أنني خنتها. لطالما شعرت بالسرور والاكتفاء مما حصلت عليه في علاقتنا الزوجية...».

توقف قليلاً عن الكلام ليعود فيتابع: «... تماماً كما حاولت أنا إقناع نفسي بأنني سعيد في خياري هذا».

نظرت بايج إليه بصمت، ولاحظت ذلك البريق الحاد في عينيه وهو يكمل كلامه قائلاً: «عندما رأيتك تنزلين السلالم في ذلك الفندق، أدركت أنني كنت أخدع نفسي طيلة السنوات الماضية. تبين لي أن ذلك الشغف الذي ظننت أنني قتلته منذ زمن، ما زال مختبئاً في داخلي، وفي اللحظة التي رأيتك فيها تحملين طفلاً بين ذراعيك، عاد ليتفجر من جديد... تفجر بقوة وعنف هائلين بسبب الكبت الذي طال لسنوات. أنت أيضاً شعرت بذلك... رأيت ذلك في عينيك عندما نظرت إلي».

قالت بارتباك: «هذا ليس حباً!».

- ربما! لكنني شعرت بشغف قوي نحوك، وبرغبة كبيرة في حمايتك والبقاء بقربك. أردتك أن تشاركيني حياتي إلى أن أموت. ألا يعتبر ذلك حباً، بايج؟ إذا كان كذلك، فإنه يعني أنني واقع في غرامك.

حدقت بايج في وجهه الداكن ذي الخطوط الأنيقة مصدومة، غير قادرة على تصديق ما تسمعه، ثم همست بضعف: «واقع في غرامي؟!»

قام بإيماءة من يده، وقال: «أنا واثق من ذلك. عندما عانقتك، انتابتني مشاعر لم أعرف لها مثيلاً من قبل».

قفزت بايج لتقف على قدميها، واقتربت منه، فيما امتلأت عيناها بالدموع، وقالت: «إذا كنت تحبني، لماذا تركتني أغادر أروهاني؟ لماذا بقيت بعيداً عني طيلة الأشهر الثلاثة الماضية؟ كان يجدر بك أن تعرف ما الذي أشعر به تجاهك، مع ذلك فأنت... أنت...».

أمسكت ذراعيه بقبضتيها وراحت تهزه، فبدا لها كأنها تحاول إزاحة صخرة جبل طارق. ثم أطبقت يداه على معصميها مانعة إياها من التراجع. قال لها بصوت منخفض فيه لذعة من القسوة: «لم أشأ أن أقع في غرامك. خشيت أن أصبح ضعيف الإرادة مثل والدتي، معتمداً على الشخص الذي أحبه... خشيت أن أقع ضحية الغيرة القاتلة، وأصبح عبداً للحب. لهذا السبب تركتك تغادرين، لكنني سرعان ما اكتشفت أن حياتي من دونك لا تساوي شيئاً».

توقف عن الكلام وعلت وجهه ابتسامة خطيرة قبل أن يستأنف كلامه: «أملت أن تقعي أنت أيضاً في غرامي. أدركت أنك ما زلت تلك الفتاة البريئة التي تنقصها الخبرة في العلاقات الغرامية... أنت تجاوبتِ مع عناقي لك بقوة، فلا تقولي لي إن ذلك هو نتيجة رغبة عابرة».

تلونت بشرتها باللون الأحمر على الفور، فتنهدت معترفة: «لا! لم يكن كذلك. لكن، مارك... أنا لست... لن أكون الزوجة الملائمة لك».

قال: «أعرف... أنت لست ملائمة لي على الإطلاق، لذلك أنا مستعد لإنفاق كل فلس أملكه لأكون معك، فأنا لا أفكر إلاّ بك».

ابتسمت بايج لمزاحه، إلا أنها عادت فلوت شفتيها قائلة بتردد: «والدتك لن...».

- والدتي تريد أن تراني سعيداً. وعندما ترانا معاً، سوف تدرك أنني كذلك.

رفعت بايج بصرها نحوه، ورأت في تعابير وجهه اقتناعاً تاماً بما يقول، وجعلها ذلك تشعر بالأمل. لكن قبل أن تستسلم تماماً قالت بهدوء: «الأمر ليس بهذه البساطة مارك، وأنت تعرف ذلك».

- أعرف أننا نحن الاثنان معاً نستطيع القيام بكل ما نرغب به.

ثم أصبح صوته أكثر عمقاً وهو يتابع: «أعرف أن حياتي أشبه بالصحراء من دونك. إذا لم تستطيعي أنت العيش في عالمي، سوف أتركه وأعيش أنا في عالمك، في أي مكان تختارينه».

تجمعت دموع حارقة في عينيها، وقالت: «سوف تشعر بالضجر بعد أشهر قليلة، وأنا... لن أشعر بالسعادة إلا إن كنت أنت سعيداً كذلك».

أخذت نفساً عميقاً، وركزت نظرات عينيها على وجهه، ثم أكملت كلامها: «لذا، إن كان علي أن أتعلم كيفية التصرف في عالمك، فسوف أفعل هذا. أنا سريعة التعلم، وإذا كانت أمك مستعدة لمساعدتي...».

- إنها كذلك!

إلا أنه لم يحاول أن يجذبها إلى حيث تتوق بأن تكون... بين ذراعيه... بالقرب من قلبه. أراد أن ينتظر إلى أن تزول كل الحواجز التي تفصلهما عن بعضهما البعض، لتكون بايج قادرة على أخذ الخطوة الأولى للسير نحو عالم مجهول بالنسبة لها.

جاء صوتها مرتجفاً حين قالت: «أنا أحبك أيضاً».

تمكنت من الابتسام بالرغم من الدموع التي تجمعت في عينيها. تابعت تقول: «لقد أحببتك دوماً. وأنا أود أن أسعدك، ولن أجعلك تندم يوماً ما... إن كان هذا كافياً...».

قاطعها مارك بصوت واثق: «أنا أريد أكثر من هذا. أريد أن أعتني بك كي لا تصابي بالمرض أو بالتعاسة ثانية. أريد أن...».

همست تقاطعه: «أوه، مارك! لا يمكنك أن تعد بذلك».

- أعرف ذلك...

ضحك بنعومة، واستسلم أخيراً إلى مشاعره فجذبها نحوه قائلاً: «... لكنني سأحاول ذلك حبيبتي».

أخيراً، اقتنعت بايج أن هذا الرجل لن يستغلها أو يخونها، وأنها

تستطيع الوثوق به لبقية حياتها. ابتسمت له ابتسامة مشرقة ووعدته قائلة: «أنا أيضاً سأفعل. وأنا أرى منذ الآن أنا سنقود بعضنا نحو الجنون بسبب رغبتنا في حماية بعضنا».

اشتدت ذراعاه حولها، كأنها كنز نادر ذو قيمة خيالية: «أنا لم أعد أستطيع الانتظار. أعدك إذ ما تزوجتني أن نبقى دائماً معاً، وأنني سأكون دائماً موجوداً لمساندتك. عندما تنتجين أنواعاً جديدة من الأزهار والنباتات وتسمينها باسمي وبأسماء أولادنا، سوف أكون فخوراً بك... بل سأكون أسعد رجل في العالم».

رفعت بايج رأسها وعيناها مليئتان بالحب والشوق، فضمها مارك إلى صدره بقوة، وعانقها بشغف وإحساس عميق. بعدئذٍ لم يعد هنالك داعٍ للكلام... لم يعد هنالك مكان لسوى الحب!

بعد مرور فترة من الوقت، كانا ما يزالان جالسين وهما يحتضنان بعضهما البعض. مررت بايج إصبعها راسمة حدود فكه وذقنه، ثم قالت بتكاسل: «والآن، يمكنك الاعتراف أنك أنت من أمّن تلك الوظيفة لشيري».

أجفل مارك قليلاً وسألها: «كيف عرفت ذلك؟ هي لم تعرف بالأمر».

- هذا ما خمنته. جاءتها تلك الوظيفة بسهولة، وعندما فكرت ملياً بالأمر، لم أصدق أن هؤلاء الذين استخدموها تجاهلوا ماضيها كراقصة، وعهدوا إليها برعاية أولادهم بهذه البساطة... إلا إذا كانوا يعرفون عنها أكثر من كونها راقصة. أو إذا كانوا يقدمون خدمة لشخص ما.

التمعت عينا مارك بشعور بالرضى، وجذب يدها ليقبل راحتها ومعصمها. ثم اعترف قائلاً: «إنهم من أصدقائي، وهم مسرورون منها... إلى حد أنهم مستعدون الآن إلى تقديم خدمة أخرى لي لأنني وجدت لهم هذه المربية الجيدة».

نظرت بايج إليه والسعادة تملأ قلبها، وسألته: «ما الذي جعلك تفعل ذلك من أجلها؟».

تمهل قليلاً قبل أن يجيب، ثم هزّ كتفيه قائلاً: «فكرت أنها تستحق فرصة أفضل في الحياة، لكن السبب الحقيقي هو أنك كنت تشعرين بالقلق عليها».

- ماذا عن ذلك الإرث الذي تركته جولييت... أعني المال؟

أصبح فمه مشدوداً في خط مستقيم، فاقتربت منه بايج وهمست في أذنه: «إنه منك... أليس كذلك؟».

أجاب مارك متذمراً: «أرى أنه لم تعد لدي أسرار مخفية عنك. متى اكتشفت ذلك؟».

- عندما قلت إنك ساعدت شيري.

قالت ذلك وهي تمرر يدها في شعره، فمرّغ مارك رأسه في راحة كفها، ثم قال: «لم أحتمل فكرة أنك تكافحين بجهد وليس لديك أي مبلغ إضافي من المال يشعرك بالأمان، كان علي التأكد من حصولك على ما يكفي لتأمين مستقبلك، لتكون لديك القدرة على الاختيار والتقدم».

منذ عشر دقائق... بل منذ خمس دقائق فقط، لم تتصور بايج أن الأمور ستنقلب رأساً على عقب، وأنها ستغير نظرتها إلى مارك على هذا النحو.

- أحبك، مارك! ليتني لم أفكر يوماً أنك رجل فظيع كما فعلت.

- يمكنك أن تعوضي عن تفكيرك هذا من الآن فصاعداً.

ضحكت بنعومة وهي تلقي رأسها على كتفه قائلة: «هذا ما سأفعله! أنا سعيدة جداً، ويبدو لي أن كل شيء ولد من جديد اليوم، وكأن حبي لك وحبك لي سوف يداويان جراح العالم كله».

رسم مارك بإصبعه حدود وجهها، وقال لها برقة: «لطالما تساءلت إن كنت ستتمكنين من الوثوق برجل كي تغرمي به. والدك تخلّى عنك، ورئيسك في العمل حاول التحرش بك، وقريبك توفي من دون أن يفكر بكما، أنت وأمك. أما أنا فأدرت لك ظهري ببرودة وتعمد عندما شعرت بخطر الوقوع في حبك، وتزوجت جولييت».

اعترفت بايج قائلة: «أنا وقعت في حبك بعد تلك المكالمات الهاتفية في أروهاني، عندما كنت تتصل بي كل ليلة. أي أنني أحببتك قبل أن أعرف أنك تحفظ سر لورين وأنك كنت مخلصاً لجولييت. لم أستطع تمالك نفسي، فهذا ما حصل».

- أنا لا أؤمن بالقدر، لكنني لم أكن أؤمن بالحب من النظرة الأولى أيضاً! ربما كان قدرنا أن نلتقي ونقع في غرام بعضنا البعض، ثم نعيش حياة طويلة مليئة بالحب معاً.

* * *

أقام مارك وبايج حفلاً بسيطاً في الجزيرة، واقتصر الحضور على والدة مارك، لورين، شيري وبعض أصدقاء مارك. بعدئذٍ، دخلت بايج إلى الغرفة نفسها التي نامت فيها في المرة الأولى. خلعت ثوب الزفاف الطويل ذي اللون التبني، وارتدت ثياب السفر. سوف يمضيان شهر العسل في جزيرة يملكها مارك، وهي جزيرة صغيرة معزولة تقع في أحد خلجان تاهيتي. سوف يسافران في وقت لاحق إلى باريس ثم إلى فينيسيا.

سيطر على بايج شعور بالترقب لا يخلو من بعض الهواجس، أخفضت بصرها لتنظر إلى قميصها الكتانية وبنطلونها المناسب للقميص، آملة أن تتمكن من اجتياز الامتحان بنجاح.

البريق الأزرق المنبعث من الخاتم الذي أهداها إياها مارك جعلها تشعر بالطمأنينة. راحت تحركه في إصبعها، متأملة بإعجاب لونه الرائع. اقترح مارك أن يهديها خاتماً من الزمرد، إلا أنها فضلت الياقوت الأزرق الشبيه بلون عينيه. التمع الخاتم بقوة إلى جانب خاتم الزفاف معلناً لها عن إخلاص مارك وارتباطه بها.

إنها لم تحصل على حب مارك فقط، وهو حب جعلها تمتلك العالم بأسره، إلا أنها حصلت أيضاً على مساندة والدته. منذ لقائها الأول بها عانقتها السيدة كوربيت، وفي الأسبوع المنصرم أثبتت لها بما لا يقبل الشك أن مارك كان محقاً، فوالدته تهتم ليس لسعادته فقط، وهي جاهزة

للقيام بكل ما في وسعها لمساندتها.

كما أنها ولورين بدأتا تصبحان صديقتين. إن الزواج بمارك قدم لها عائلة جديدة، وسوف تكبر هذه العائلة عندما يرزقان بأولاد يحملون عادة أبيهم في رفع حواجبهم بسخرية...

ابتسمت بايج، وحملت حقيبتها بعد أن تأكدت أنها وضعت فيها كل ما تحتاج إليه. في تلك اللحظة سمعت قرعاً على الباب: «ادخل!»

لم يكن مارك الطارق كما توقعت، بل مدبرة المنزل. بدت المرأة مرتبكة إلاّ أنها قالت: «سيدة كوربيت، وعدت السيدة كو...».

بدت مشوشة، إلا أنها تماسكت وأكملت: «... أعني السيدة كوربيت السابقة، بأن أعطيك هذه إن تزوجت من مارك.. السيد كوربيت».

وناولتها مغلفاً كتب عليه اسم بايج بخط جولييت الأنيق، فسرت قشعريرة في عمود بايج الفقري.

عادت مدبرة المنزل تقول بنبرة ملؤها القلق: «آمل أن يكون ما أفعله صحيحاً. لقد تركت معي هاتين الرسالتين. أعطتني إياهما وهي تضحك قليلاً، لأنها بالطبع لم تتوقع أن تموت. أوصتني بأن أسلمك الرسالة الأولى عندما تستلمين العقد والثانية إذا ما تزوجت من مارك».

قالت بايج وهي تخفي عدم ارتياحها بابتسامة ودودة: «بالطبع هو صحيح، فجولييت كانت صديقتي».

إلا أن تياراً بارداً تسلل إلى داخلها وهي تنتظر خروج مدبرة المنزل من الغرفة. ما إن أغلق الباب خلف السيدة أوليفر، فتحت بايج الرسالة بلطف لتقرأ ما كتب في داخلها وهي تجلس على حافة السرير.

«عزيزتي بايج».

إذا كنت تقرأين هذه الرسالة، فذلك يعني أنني توفيت منذ عامين على الأقل، وأنك تزوجت من مارك. أود أن تعلمي أنني أبارك زواجكما.

أشعر بالسخافة لأنني أكتب هذه الرسالة، لكنني شعرت بحاجة إلى

القيام بذلك. منذ وقت ليس ببعيد رأيت حلماً غريباً. رأيت نفسي مستلقية في مركب رائع الجمال، وأنا محاطة بالأزهار ذات اللون الأبيض. ومع أن الأمر بدا غريباً، إلا أنني كنت أشعر بالسعادة والرضى، لأنني شعرت أنني ذاهبة إلى مكان ساحر رائع، وأنني سألتقي هناك بشخص رائع. بعدئذٍ، خرجت أنت ومارك من الضباب الذي يحيط بي ووقفتما تنظران إلي. كنت أنت تبكين، أما مارك فبدا وجهه صلباً كالصخر، كما يبدو حين لا يريد الإفصاح عما يفكر به.

كنتما ملتفين بحزام مشرق يومض كالشعاع. حاولت أن أخبركما أنني سعيدة، وأنني لا أريدكما أن تقلقا أو تحزنا بسببي، لكنني لم أستطع التكلم أو التحرك».

راح قلب بايج يتخبط في صدرها. وضعت الورقة على السرير، إلا أنها عادت فالتقطتها مباشرة بيدين مرتجفتين لتكمل قراءة الرسالة.

«عرفت أن الأمور سوف تسير بهذه الطريقة. إنه يقين مطمئن، وإدراك لحقيقة ثابتة ظلت ملازمة لعقلي بعد أن استيقظت.

بالطبع، كان ذلك مجرد حلم، لكن إن لم يكن كذلك، فأنا أعلم يا عزيزتي بايج، يا شقيقة قلبي، أنك سوف تقرأين هذه الرسالة يوماً، وأنك ومارك سوف تسعدان بعضكما البعض.

لهذا السبب تركت ذلك العقد، مرفقاً بتلك الشروط الغريبة. أردتك أن تمكثي في الجزيرة لفترة تسمح لكما، أنت ومارك، بالتعرف جيداً على بعضكما البعض، وأردت أن يحصل ذلك بعد فترة طويلة بما يكفي من وفاتي كي لا يشعر أي منكما بالحزن والأسى. فكرت أن سنتين هما مدة كافية».

الرسالة موقعة بقلم جولييت تحت عبارة «مع حبي لكما» وقد أضافت تحت توقيعها ما يلي:

«أخبرني مارك أنه لم يقم علاقة مع سكرتيرته الإنكليزية، وأنا صدقته. هناك صلة ما بينهما، إلا أنها ليست علاقة حسية أو رومنسية. عزيزتي

بايج، أريدك أن تعيشي بسعادة».

عندما دخل مارك إلى الغرفة، كانت بايج ما تزال جالسة على السرير، وعيناها غارقتان بالدموع.

سألها بنبرة صوت قلقة: «ما الأمر؟».

وما إن رأى الرسالة حتى حملها وراح يقرأ محتواها والعبوس يعلو وجهه، وما لبث أن رفع بايج عن السرير ليضمها إلى ذراعيه قائلاً: «لم أكن أعلم... لم تخبرني بذلك مطلقاً».

التصقت بايج به بامتنان، مستمدة قوة من قوته، مدركة أنه سيكون دوماً سنداً لها في حياتها.

- إنه أمر عجائبي... لا يشبه جولييت أبداً، فلطالما كانت شديدة الواقعية في حياتها...

أخذت بايج نفساً مرتجفاً وأكملت: «... بعد تلك... تلك الحادثة، أمل أن تكون قد استيقظت لتجد نفسها نائمة في مركب رائع الجمال، محاطة بأزهارها المفضلة، غارقة في أريجها».

علق مارك برصانة: «أخبرني رجال التحري الذين حققوا في الحادثة أنها لم تعانِ من الخوف سوى للحظة واحدة على الأكثر، ثم غابت عن الوعي. على الأرجح أنها لم تشعر بالألم، حبيبتي. أرجو أن يكون هذا الحلم قد منحها نوعاً من التعزية، كما أنني سعيد لأنها فكرت بجمعنا معاً. ربما أدرك جانب من لا وعيها تلك... الصلة الخفية بيننا».

أومأت بايج موافقة ورأسها ما يزال ملتصقاً بكتفه.

تابع يقول: «بعد أن توفيت، قلت لنفسي: «سوف أنتظر سنتين كي أسلم إليك تركتها»، أملت أن يكون في ذلك نهاية لهواجسي نحوك، لكن في اللحظة التي رأيتك فيها أدركت أنني كنت أخدع نفسي؛ لن ينتهي الأمر هنا، لأنه ليس مجرد هاجس. إنه الحب! مع أنني لم أكن جاهزاً بعد للاعتراف بذلك حتى لنفسي... فقد أشعرني ذلك بالخوف».

رفعت بصرها إليه بإجفال: «أنت... شعرت بالخوف؟».

- أنت ما زلت لا تعرفين مقدار ما تعنينه لي فعلاً.

قال ذلك وهو يمسد خصلة من شعرها اللامع إلى الخلف. أبعدها عنه قليلاً وراح ينظر إلى وجهها، فيما ظهرت تعابير وجهه واضحة أمام عينيها. لم يعد هناك من أسرار أو مشاعر مخبأة بينهما!

التمع اللون الأزرق كاللهب في عينيه، وقال بصوت أجش: «لو أنني شاعر لوجدت كلمات شعرية رائعة تعبر عما أشعر به نحوك، لكن كل ما يمكنني قوله هو عبارة قالها العديد من الرجال قبلي: «أنا أحبك، وسوف أمضي ما تبقى من حياتي محاولاً إثبات حبي هذا لك».

التقت نظرات بايج بنظراته الملتهبة بشجاعة وسعادة حولتا لون عينيها إلى اللون الذهبي المشع. قالت برقة بالغة: «أنا أحبك أيضاً. أحبك من كل قلبي وجوارحي، وسوف أحبك دوماً».

ضحك مارك تلك الضحكة العميقة التي تميز العشاق، وقبّل أرنبة أنفها قائلاً: «لنذهب إذاً! أمامنا العمر كله لنعيشه معاً، ونكتشف الأوجه المختلفة الرائعة لهذا الحب، فأنا لم أعد أطيق الانتظار».